التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 178 السنة العشرون - سبتمبر 2022

حول بيان النواب العشرة الأخير 07

السجون المفتوحة خطوة إيجابية بحاجة لاستكمال 11

عن ما تبقى من مهنة منقرضة 15

موقفنا

حق المواطن في العيش الكريم

رغم تتالي المؤشرات على تحسّن الوضع المالي في البلاد، والناشىء، بدرجةٍ أساسية عن ارتفاع اسعار النفط، ما ادى إلى زيادة الإيرادات الفعليّة بنسبة 52٪ مقارنة بذات الفترة من العام الماضي، إضافة إلى ارتفاع الإيرادات غير النفطيّة لذات الفترة بنسبة تفوق 57٪، إلا أن الوضع المعيشي للغالبية الساحقة من المواطنين آخذ في المزيد من التدهور، خاصة أمام موجة التضخم المالي التي تجتاح العالم، والآخذة في التفاقم.

كان المتوقع، لا بل والمطلوب، من الدولة أن تسارع للاستفادة من زيادة الإيرادات، وهي زيادة مرشحة للاستمرار في الفترة المقبلة أيضاً، باتخاذ خطوات ترمي لتخفيف الأعباء التي فرضت على المواطنين خلال الفترة الماضية، تحت عنوان السعي لتحقيق التوازن المالي، وهو ما أعلنت الدولة، مؤخراً، أنها، وبفضل ارتفاع الإيرادات، نجحت في بلوغ نسبة جيدة منه.

انطلاقاً من كل ذلك يتعين الوقوف عند البيان الصادر عن عشرة نواب، بمبادرة من رفاقنا في كتلة «تقدّم»، والذي دعوا فيه ل «إلغاء زيادة الـ 5٪ الإضافية لضريبة القيمة المضافة، واستعادة شرائح المتقاعدين لزيادتهم السنويّة الـ 3٪ كمعادل للتضخم ضمن إجراءات المراجعات المطلوبة شعبيًا، حيث إن ترك الأمور هكذا بدون معالجات حقيقيّة، سيؤدي حتمًا إلى تدهور الأوضاع المعيشيّة لشرائح واسعة من المواطنين».

للأسف الشديد لا توجد أي مؤشرات على أنّ الدولة بصدد القيام بشيء من هذه الخطوات التي طالب بها النواب العشرة في بيانهم، بل إن الحديث لا يزال يدور عن توجه لزيادة نسبة ضريبة القيمة المضافة، مرة أخرى، لتبلغ 15٪، والأدهى من ذلك أنه جرى، وعبر الصحافة، تسريب أقوال عن توجه بإلغاء الدعم الحكومي لكلفة الاستهلاك الكهربائي في الموازنة القادمة، وهذا التسريب أمر عهدناه في السياسات الحكوميّة من قبل، في محاولة لتهيئة الراي العام للتسليم بالإجراءات والتدابير التي من شأنها تضييق الخناق على معيشة الغالبية الساحقة من المواطنين، ضعيفي ومتوسطي الدخل.

ليس جديداً التنبيه إلى أن الوضع المعيشي للمواطنين يجب أن يكون أولوية الأولويات في سياسة أي دولة، وأن تحسن أوضاع الناس وتامين ظروف العيش الكريم لهم هو مفتاح وشرط الاستقرار الذي ينشده أي بلد، وهو ما ينطبق على ظروف البحرين، وعلى الدولة التفكّر جيداً في هذا الأمر والوقوف أمامه بمسؤولية.

التقدمي

مـركزيـة التقدمـي: الـوضـع المعيشـي يهـدد أعـداداً متـزايـدة مـــن الطبقـــات والفئـــات الكـــادحـة

ناقشت اللجنة المركزية للمنبر التقدمي التقارير التنظيمية والسياسية والمالية المقدمة من المكتب السياسي واتخذت القرارات المتصلة بالمواضيع المعروضة عليها والرامية لتطوير العمل في الفترة المقبلة، كما ناقش الاجتماع باهتمام الوضع المحلي من جوانبه المختلفة، خاصة من الجانبين المعيشي والسياسي. وأكد الاجتماع على أن: «تردي الوضع المعيشي يهدد أعداداً متزايدة من الطبقات والفئات الكادحة بالسقوط إلى ما دون خط الفقر، وتدهور أحوال فئات واسعة من الطبقة الوسطى»، وأضاف بأن: «تفاقم الوضع المعيشي منذ بداية جذوره في الأزمة الاقتصادية المالية المشتدة منذ العام 2008، وازدادت حدتها مع انتشار جائحة كورونا، وعقدها أكثر اندلاع الحرب في أوكرانيا».

وأشار الاجتماع إلى: «ارتفاع أسعار العديد من المواد الغذائية والسلع الضرورية الأخرى، الذي أوجد مناخاً مؤاتياً لمزيد من فلتان الأسعار الذي يؤججه كثير من التجار المحليين في ظل حرية السوق وغياب الرقابة الحكومية على الأسعار، مما أدى لتحميل أعباءٍ ماليةٍ إضافيةٍ على ذوي الدخل المحدود وبقية الفئات الاجتماعية»، منوهاً إلى أن: «الأوضاع مرشحة للتفاقم طالما استمر ضغط الظروف الخارجية وما لم تعكس الدولة اتجاه سياساتها الاجتماعية لصالح الناس الأحقّ بالحماية».

وقالت اللجنة المركزية بأن: «اغلب العائلات البحرينية ترزح تحت مستويات غير مسبوقة من الفاقة بفعل العوامل المستجدة للوضع السياسي والاقتصادي الدولي بسبب سوء السياسة الاقتصادية التي تنتهجها الدولة والمتمثلة في تبعيتها وانصياعها الى إملاءات البنك وصندوق النقد الدوليين»، منوهة إلى: «أهمية خلق بيئة اقتصادية مستقلة تقوم فيها الدولة بدورها كشريك ومراقب يحفظ الضمانات الضرورية للفئات والشرائح الاجتماعية الفقيرة في الصحة والتعليم والمستوى المعيشي اللائق، والسبيل الوحيد لإفساح الطريق نحو هذا النهج لن يتم إلا بالمشاركة الشعبية الواسعة في رسم السياسة الوطنية».

وحثّ التقدمي الدولة على الدعوة لحوار وطني يضمّ كل أطراف ومكونات المجتمع السياسية وشخصياته الوطنية، وأولى الخطوات نحو هذا الاتجاه هو العمل على إزالة كل بواعث الخوف والقلق وعدم الثقة التي تظلل الأزمة السياسية، ومن بين تلك الخطوات إطلاق سراح المعتقلين وتوسيع نطاق العقوبات البديلة، ورفع القيود القانونية المعطلة لمشاركة قطاع واسع في الانتخابات النيابية، وإطلاق حرية الرأي والتعبير.

كما أكدّ الاجتماع على أن تشكيلة المجلس النيابي خلال الفصول التشريعية الأخيرة لم تعمل سوى على تراجع الآمال الشعبية في تفعيل دوريه التشريعي والرقابي، بل وصادرت بعض صلاحياته وعطلت جودة أدائه وإسهامه الفاعل في حل كثير من القضايا، مشيراً إلى أن: « تلك التراجعات تسببت في تضاؤل آمال الناس المعلقة على المجلس النيابي كمجسد لمبدأ (الشعب مصدر السلطات) ومتصدٍ لمعالجة القضايا اليومية والقضايا الأبعد مدى»، وتابع: «مما زاد شعور اللامبالاة تجاه الانتخابات القادمة ونشطت دعوات سياسية لمقاطعتها، وهو الوضع الذي تتمناه قوى النفوذ لتمرير المزيد من القوانين الضاغطة على الحياة السياسية والاجتماعية، وبالأخص لتعزيز نهج الليبرالية الجديدة بإجراءات اقتصادية أكثر تشدداً وإيلاماً للجماهير».

بمناسبة ذكرى الاستقلال

التقـدمـي: تحقيـق الـدولـة المـدنيـة القـــادرة علـــى مـــواجهـــة التحـــديـــات والصعـــوبـــات

دعا التقدمي لإحداث تحولات ديمقراطية حقيقية وإعادة النظر في مجمل القوانين والتشريعات المعيقة لبناء دولة القانون والمؤسسات، وتحقيق الدولة المدنية القادرة على مواجهة التحديات والصعوبات، عبر صلاحيات ذات معنى في الرقابة والتشريع النيابيين. كما طالب بإعادة النظر في الدوائر الانتخابية لتكون البحرين دائرة واحدة أو خمس دوائر من أجل إيصال الكفاءات الوطنية لإحداث التغيير والإصلاح في المجلس، بعد تجربة عشرين سنة من الحياة النيابية، وإنهاء العزل السياسي والسماح لكل المواطنين بممارسة حقهم الدستوري في الترشيح والانتخاب، إضافة إلى تفعيل دور منظمات المجتمع المدني وعدم وضع العراقيل أمامها وهي التي تؤدي دورها التطوعي والوطني في خدمة المجتمع والارتقاء به نحو التطور والتقدم. لافتاً إلى أنه لضمان الأمن والاستقرار يتطلب إبعاد المنطقة عن الاحلاف العسكرية والتواجد العسكري الصهيوني وغيره الذي يؤجج الصراع والخلاف بين دول المنطقة، وأن يتحول خليجنا إلى بحيرة سلام وتعاون.

وقال التقدمي في بيان له بمناسبة الذكرى الـ51 للاستقلال وانهاء الحماية البريطانية بأن: «قضايا الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحريات العامة وغيرها من المضامين السياسية والاجتماعية لازالت تشكل هواجس مطلبية للشعب، وأنه لا يزال مطلوبا الكثير من أجل إتمام مهام بناء الدولة الوطنية الديمقراطية على قاعدة المؤسسات الديمقراطية واحترام القانون وحقوق المجتمع والإنسان».

وشدد البيان على أنه: «رغم الظروف المستجدة بعد إطلاق الإصلاحات السياسية، فإنه لا يزال هناك مهام جسام تتمثل في التحرر من هيمنة رأس المال الأجنبي وشركاته ووصاية المؤسسات المالية الدولية وفي مقدمتها صندوق النقد والبنك الدوليين، التي تكرس نهج الليبرالية الجديدة المدمر وتزيد من الدين العام والتضخم في الدولة مما يؤذي إلى ارتفاع الأسعار وازدياد مستوى الفقر، وتزايد الفساد والرشاوي في المجتمع»، ولافتاً إلى أن: «الدولة ملزمة توفير الحماية الاجتماعية للمواطنين بدلاً من تحميلهم أعباء مالية إضافية نتيجة اتباعها السياسات الاقتصادية الاجتماعية الحالية».

النهوض بواقع الشباب البحريني ووضع حلول جذرية للبطالة

أكد قطاع الشباب والطلبة بالمنبر التقدمي إيمانه بدور الشبيبة في النهوض بالمجتمع على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، داعياً إلى تعزيز دور الشباب في كافة المجالات وتمكينهم في تبوأ كافة المناصب والمراكز في الجهاز الحكومي والقطاع الخاص وفي مؤسسات المجتمع المدني والنقابات العمالية.

وطالب القطاع في بيان له بمناسبة اليوم الدولي للشباب كل الأطراف والجهات المعنية للنهوض بواقع الشباب البحريني على أسس وطنية، وبلورة استراتيجية تشكل أجندة عمل مستقبلية تعزز دور الشباب وتوفر لهم كل الفرص والامكانيات وتدشين العديد من البرامج والمشاريع الخاصة بتقدم الشباب وتمكينهم، وتوفير فرص العمل والتدريب، وتعزيز دورهم الحيوي و القيادي.

وشدد البيان على: «أهمية وضع الحلول الجذرية لمشكلة البطالة بين الشباب وتوفير فرص عمل لائقة لهم برواتب مجزية مع ما يتناسب مع مؤهلاتهم الدراسية والأكاديمية خصوصاً في ظل تقارير زيادة العمالة الوافدة إلى مستويات عالية»، إضافة إلى: «التشديد على عدالة توزيع البعثات والمنح الدراسية وضرورة تطبيق أعلى معايير الشفافية والمساواة عند توزيعها، وإيلاء الاهتمام البالغ بجودة و مخرجات التعليم الأساسي والعالي القائم على الفهم والإبداع والبحث العلمي ومغادرة الأساليب التقليدية القائمة على الحفظ والتلقين، وإتاحة التعليم المجاني للكافة».

ودعا البيان إلى: «توسيع أجواء الديمقراطية للشباب وإتاحة الفرصة الواسعة لهم للتعبير عن الرأي والمشاركة بحرية في الانضمام لمؤسسات المجتمع المدني وتشكيلها بلا قيود، وتوفير الدعم المادي والمعنوي اللازم»، كما شدد على: «توفير بيئة حرة ومستقلة قائمة على تعدد وجهات النظر في وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية، وتطوير وسائل الإعلام على نحو يعزز حرية الرأي والتعبير، ويسهم في إرساء السلام والتعايش وضمان التنمية الاستدامة».

ولفت البيان إلى: «أهمية ربط التعيين في المناصب الحكومية بالكفاءة وتكافؤ الفرص، وتمكين وصول الكفاءات الشابة الى مراكز صنع القرار»، كما وجدد الدعوة لتقليل سن الانتخاب إلى 18 عاماً وسن الترشيح إلى 25 عاماً بالتزامن مع فتح المجال لتمكين الشباب سياسياً دون تضييق، وتوسيع هامش الحريات والصلاحيات الرقابية التي انتقصت من المجلس النيابي».

فضفضة

«يشجع على ترك العمل»

عيسى الدرازي

بالعبارة أعلاه، بررت الحكومة، في رفضها لمشروع بقانون برلماني يضيف عدّة مزايا لنظام التأمين ضد التعطل، محذرة من زيادة مزايا التعطّل وقالت ان ذلك: «سيترتب عليه زيادة الأعباء المالية للصندوق والإضرار بحقوق المستفيدين أنفسهم من النظام على نحو يؤدّي حتمًا إلى الإخلال بتوازن هذا الصندوق وعدم ضمان وجود دخل دوري يفي بمتطلبات الحياة الكريمة للمستفيدين من أحكامه عند حدوث خطر التعطّل».

بررت الحكومة رفضها لتحسين مزايا التعطل بالزيادة في الأعباء المالية للصندوق، والحديث هنا عن الصندوق الذي أنشيء أساساً تحقيقاً للتكافل الاجتماعي وإعانة الباحثين عن عمل لحين توظيفهم، أو حماية المفصولين عن العمل للحصول على تعويضات التعطل. واعتبرت الحكومة بأن زيادة مزايا التعطل: «من شأنه أن يهدر الأغراض التي يهدف القانون إلى تحقيقها وتشجيع بعض العاملين حاليًا على ترك العمل والاستفادة من الصرف المستمر لمزايا التعطّل».

مع الارتفاع الجلي في أرقام التضخم، وتعقيدات الحياة المعيشية للكثير من المواطنين، بسبب زيادة أسعار المواد الاستهلاكية والغذائية ومضاعفة ضريبة القيمة المضافة وارتفاع فواتير الكهرباء والماء، ومؤخراً وقف تمديد تأجيل استقطاع أقساط القروض المصرفية، أصبح بالكاد أن يصمد راتب الموظف أمام كل ذلك، فما بالك لو كان عاطلاً عن العمل ويتحصل على مبلغ التأمين ضد التعطل وهو مبلغ لا يمكن اعتباره مبلغاً يقي أسرة بحرينية من العوز والحاجة.

ومن جانب آخر، تتصاعد دورياً نداءات العاطلين عن العمل المطالبة بإعادتها ضمن قوائم المستفيدين من مبلغ التعطل، أو أن ملفاتهم قد أغلقت والأسباب ذاتها تكرر دون معالجة حقيقية. فلا هم يحصلون على الدعم من الصندوق المخصص لهم أساساً ولا هم تمكنوا من الحصول على فرص عمل ملائمة تتناسب وتخصصاتهم ومهاراتهم.

والملاحظ ان الحكومة تدرك تماماً في إحدى نقاط ردها، آثار حصول العاطلين على الدعم بصورة مستمرة غير منقطعة وقالت بأنه: «سيترتّب عليه آثار سلبية خطيرة على سوق العمل والمجتمع ويؤدّي إلى تراجع معدّل نمو المواطنين العاملين في الاقتصاد الوطني، ما يترتب عليه انخفاض معدل النمو الاقتصادي وتراجع الدخل الوطني». وهو ما يسلط الضوء على الخطوات الجدية التي يجب اتخاذها من اجل ضمان الوصول إلى معادلة سليمة تربط القوى العاملة الجديدة بسوق العمل، ووضع حلول ناجعة وفعالة للحد من نسبة البطالة.

بمشاركة عائلته وشخصيّات وطنيّة من رفاق وأصدقاء الفقيد

التقـــدمـــي يـــؤبـــن «شيـــخ المنفييـــنّ»

وفاء لذكرى "شيخ المنفيين" المناضل الرفيق د.يعقوب الجناحي، نظمّ المنبر التقدمي تأبيناً للرفيق الراحل تحدث فيه بفيض من المشاعر رفاق النضال والدرب العسير، ومن شاركه محطات الطريق.

الأمين العام: ضرورة الاعتراف الرسمي بتضحيات الرموز المناضلة

بدأ الحفل التأبيني بكلمة للأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق المحامي عادل المتروك، طالب فيها: «بتخليد ذكرى الفقيد الراحل وغيره من المناضلين الوطنيين الذين قضوا شطراً من سنوات حياتهم في السجون والمنافي في فترة هامة من تاريخ الحركة الوطنية البحرينية والطريق إلى نيل الاستقلال من الاستعمار»، وتابع: «يستحق تكريما رسمياً يليق بتضحياته، هو وكل المناضلين الوطنيين وفي طليعتهم الرفيق احمد الذوادي، الرفيق أحمد الشملان، وآخرين من رفاقه في «جتوب»، ورفاقهم في التيار الوطني الديمقراطي كالمناضل عبدالرحمن النعيمي، والمناضلة الثائرة ليلى فخرو وغيرهم كثر، عبر تسمية المناطق والميادين والشوارع العامة بأسمائهم، وتضمين سيرهم وكفاحهم كجزء مهم من تاريخ تطور ونهضة البلد، بإدراجهم في أنظمة التعليم وارشيف الدولة الرسمي».

وقال متروك بأنه: «مما له مغزى أن يوافق تأبين الرفيق الراحل ذكرى يوم الاستقلال، كي نستذكر بطولاته ومواقفه الثابتة تجاه حرية شعب البحرين»، مؤكداً على أن: «الثمن الذي دفعه لم يذهب هباء وانما أسهم مع تضحيات الجموع من ابناء شعب البحرين وفي طليعتهم كوادر حركات التحرر الوطني للخلاص من نير المستعمر».

وأردف المتروك بأنه: «مع اندحار حقبة الاستعمار المعتمة ظل الجناحي مع رفاقه يدفعون فاتورة التزامهم بحزبهم، واستمر بطش الدولة في مواجهته باستمرار عقوبة النفي لعشرات السنين، رغم ما تغنت به الدولة في الحقبة التالية للاستعمار بسيادة القانون وتوفير الضمانات لحماية الحقوق والحريات العامة، الا انها في واقع الحال تغاضت عن التقيد بالقواعد القانونية التي صاغتها في دستور الدولة حينها، ولم تعلو تلك القواعد القانونية على سلطاتها حتى تكون ضابط لأعمالها وتصرفاتها ونشاطاتها المختلفة»، وتابع: «الواقع الذي افصح عن ازمة سياسية خانقة اغرقت البلد حينها في حقبة جديدة شديدة العتمة عرفت بحقبة قانون أمن الدولة سيئ الصيت».

كلمة عائلة الفقيد

من جانبه، أوجز ابن الرفيق الراحل المهندس محمد يعقوب الجناحي في كلمات معبرة شكر فيها الحضور والمنبر التقدمي على التنظيم وكل من واسى العائلة بفقدان والده، واستذكر الخصال الحميدة لوالده لمناضل الراحل، مؤكداً ثبات الفقيد على مبادئه الوطنية.

حسن العود: نموذج للمناضلين

إلى ذلك، ألقى الأستاذ حسن العود كلمة باسم أصدقاء الفقيد، قال فيها: «أتذكره والشوق يغلبني لحياتي الطلابية التي امتدت لسبع سنوات تقريباً في موسكو، وكذلك لقاءتنا المتكررة في دمشق حيث أكون في ضيافته أحياناً عندما أزورها خلال مشاركتي في مؤتمرات او ندوات تنظم هناك»، وتابع:» تستحضرني الذكريات وانا أنقل له بعض الاخبار عن الأحداث التي جرت حينها في البحرين، ونقوم سوياً بتقييم الأوضاع من خلالها والدروس المستفادة، وقد كان يتطلع دائماً إلى العودة إلى الوطن هو مع أفراد عائلته الكريمة».

وواصل: « كان الفقيد من الرواد الذين تركوا إرثاً نضالياً لايزال راسخاً في الذاكرة الوطنية، وكان نموذجاً للمناضلين الذين آمنوا بفكرة العدالة والحرية، فكان مثال المناضل الطليعي بوفائه وأخلاقه الرفيعة". وأضاف: " كان شخصية حزبية قيادية، وبرز في صفوف الطلبة البحرينيين الدارسين في موسكو في منتصف ستينيات القرن الماضي". وأردف: " كان يؤكد دائماً على أهمية ان تكون معاملة واخلاقيات إخواننا الطلاب على مستوى مرموق تمثل الروح البحرينية النظيفة، مع تعزيز التعاون مع بقية المنظمات الطلابية والحزبية المختلفة".

فوزية مطر: صادق النفس وواضح المواقف

كذلك، قالت الأستاذة فوزية مطر في كلمة مشتركة بينها وزوجها الرئيس الفخري للمنبر التقدمي الرفيق المناضل أحمد الشملان بأن: «الفقيد كان من الناس الواضحين الصادقين مع أنفسهم، وهو إذا اقتنع بأمر أظهر قناعته ونطق بها دون أن يجامل أو يهادن ودون أن يخشى في ذلك لومة لائم، ربما أتعبه ذلك، لكنه كان ديدنه».

وأشارت مطر إلى بداية تعرفهما هي وزوجها مع الرفيق الراحل قائلة: «حين وصلنا أحمد الشملان وأنا

كان فاعلاً في مبادرات لمّ الشمل الوطني إثر أحداث ٢٠١١

موسكو في منتصف السبعينيات للدراسة التقينا لأول مرة مع د. يعقوب والصديقة العزيزة ثريا فريدون. كان د. يعقوب قد أنهى دراسته تقريباً وكانت ثريا في سنواتها الدراسية الأخيرة. تعرفنا عليهما واقتربنا منهما مثلما تعرفنا على جميع الطلبة البحرينيين الدارسين في جامعة الصداقة. حين وصلنا أحمد الشملان وأنا موسكو في منتصف السبعينيات للدراسة التقينا لأول مرة مع د. يعقوب والصديقة العزيزة ثريا فريدون. كان د. يعقوب قد أنهى دراسته تقريباً وكانت ثريا في سنواتها الدراسية الأخيرة. تعرفنا عليهما واقتربنا منهما مثلما تعرفنا على جميع الطلبة البحرينيين الدارسين في جامعة الصداقة. اندمجنا مع الجميع وتصادقنا مع الجميع، بالرغم أننا لمسنا وضعاً خاصاً كان يعيشه د. يعقوب ومعه مجموعة قليلة من الطلبة».

ومن المحطات التي توقفت عندها مطر في كلمتها محطة التسعينيات، حيث «خرج أبو خالد من المعتقل واشتغل بالمحاماة. وفي سنة 1992 أرسل د. يعقوب طلباً لأحمد الشملان أن يتولى قضية سحب جوازه وجنسيته، حيث باشر أحمد القضية بناء على توكيل رسمي أرسله د. يعقوب ولم يكن بحوزته سوى رقم ملف تحصلت عليه العزيزة ثريا خلال وجودها في البحرين في الثمانينيات.

«في سنة 1993 استطاع الشملان أن يتحصل في المخازن المركزية على ملف قديم يعود للستينيات باسم د. يعقوب يضم كل الأوراق الثبوتية. فرفع مباشرة دعوى باسم د. يعقوب ضد إدارة الهجرة والجوازات نظرتها المحكمة الكبرى الثانية في جلسات عديدة ثم حولتها للتنفيذ. نُظرت الدعوى في محكمة التنفيذ في جلسات عديدة أخرى، وأصدرت المحكمة حكمها بالتنفيذ بناء على الأوراق الثبوتية، إلا أن إدارة الهجرة والجوازات امتنعت عن تنفيذ حكم المحكمة.

علاقة الصداقة التي جمعت بين العائلتين التي بدأت منتصف سبعينيات القرن الماضي في موسكو، تواصلت بعد عودة الفقيد إلى أرض الوطن مطلع الألفية، وعن ذلك قالت مطر: «أصبح يعقوب أحد زوار مجلسنا الأسبوعي المنتظمين حتى بعد مرضه، يغيب إن زاد عليه المرض ويكون بيننا إن تحسنت حاله»، وأردفت: «التقينا كذلك معه بعد أحداث 2011 في عددٍ من المبادرات التي نُظمت للم الشمل الوطني».

وأضافت: «حين رقد مؤخراً في المستشفى زرناه غير مرة، كان في غيبوبته بالعناية المركزة ولا نراه إلا عبر الزجاج من خارج الغرفة، وكنت أتواصل مع العزيزتين أم لطيفة ولطيفة، وكانت لطيفة توضح في كل اتصال أن الحال تسوء دون بوادر تحسن». وختمت: «قبل يومين على وفاته زرناه زيارتنا الأخيرة وكانت حاله قد ساءت كثيراً، حينها خامرنا شعورٌ موجعٌ بأن ساعة الرحيل تقترب».

عبدالنبي العكري: حقوقي بارز

على صعيد متصل، ألقى المناضل المهندس عبدالنبي العكري كلمة رفاق الفقيد في الحركة الديمقراطية الوطنية، قال فيها: « مسيرة المناضل الفقيد ممتدة لعدة عقود كانت مسيرة من النضال والعمل والتحصيل العلمي في ظل أصعب الظروف وفي ذات الوقت مسيرة من الإنجازات العلمية وبناء الذات وتكوين عائلة سعيدة والاسهام في بناء جبهة التحرير الوطني ثم المنبر التقدمي والمشاركة النشطة في العمل الوطني وتمثيل البحرين في العديد من المحافل العربية والدولية والاسهامات الفكرية والحقوقية».

وقال العكري: «عرفت المناضل وعائلته عن قرب في مختلف محطات المنفى، عرفته في عدن عاصمه اليمن الديمقراطي في الثمانينات ممثلا لجبهة التحرير الوطني –البحرين الى جانب المرحوم أحمد الخياط ممثلاً للجبهة الشعبية في البحرين حيث مثلا البحرين خير تمثيل واسهما في تعزيز العلاقة بين الشعبين اليمني والبحريني»، وتابع: «وبعد قيام الوحدة اليمنية في يونيو 1990 انتقل المناضل أبو لطيفة إلى صنعاء عاصمة الوحدة». مشيراً إلى أنه: «قد يعتقد البعض ان هذه المهمة سهلة في ظل الدعم الرسمي والتعاطف الشعبي اليمني لكن ذلك تبسيط للوضع فقد كان اليمن الديمقراطي ثم اليمن الموحد يمر بصراعات عنيفة بل وحروب مدمرة، وتطلب الأمر شخصية أبي لطيفة الرزينة والحكيمة ودعم الزوجة المتفانية أم لطيفة لنسج علاقات وثيقة مع مختلف الأطراف والنأي بالنفس عن صراعات ثبت مدى اضرارها على الشعب اليمني وحلفائه وأصدقائه واستثمار علاقاته الواسعة لصالح دعم قضية البحرين».

وتناول العكري عمله مع الفقيد في سوريا خلال مرحلة التسعينيات «حيث كان ضمن قيادة جبهة التحرير الوطني وطاقم مكتبها في دمشق العاصمة السورية، وكانت اهتماماتي الاساسية هي حقوق الإنسان، وقد شكلت عناصر حقوقية من الجبهتين ومن بينهم أبو لطيفة لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان في البحرين مع استقلالها عن التنظيمين، عملنا معاً في المجال الحقوقي وكان له اسهاماته الجيدة كونه قانونياً بارزاً».

وأردف:» كما أسهم أبو لطيفه في الانجاز الوطني بتشكيل لجنة التنسيق بين جبهة التحرير الوطني البحرانية والجبهة الشعبية في البحرين بما في ذلك إصدار صحيفة الأمل المشتركة والعلاقات الخارجية المشتركة وتوحيد التمثيل في عدد من المنظمات العربية والدولية، كان دور أبو لطيفه بارزاً في ذلك خصوصا أنه يتمتع بروح تصالحيه ورؤية بعيدة للمصالح الوطنية ومرونة في التعاطي مع مختلف القضايا المشتركة».

للشعر كلمته

تضمن الاحتفال أيضاً مشاركات شعرية، بينها قصيدة للشاعر عبدالصمد الليث في رثاء الرفيق الجناحي، ألقتها بالنيابة عريفة الحفل الرفيقة منار السمّاك، كما ألقى الشاعر الرفيق عبدالحميد القائد قصيدة مهداة إلى روح الفقيد

حزب الشعب الفلسطيني يعزي برحيل الرفيق الجناحي

عبّر حزب الشعب الفلسطيني عن أحر تعازيه لعائلة الفقيد الرفيق يعقوب الجناحي وللمنبر التقدمي ولكافة التقدميين والديمقراطيين في البحرين.

جاء ذلك في رسالة تعزية بعث بها الحزب إلى قيادة المنبر التقدمي، قال فيها: «لقد خسرت الحركة النقدمية ليس في البحرين فقط وانما على امتداد الوطن العربي مناضلًا صلبًا خبرته معارك النضال الوطني من اجل مستقبل أفضل لشعبه وللشعوب العربية والتقدميين في العالم».

وجاء في رسالة الحزب: «إننا على ثقة ان التقدميين في البحرين سيواصلون الطريق الذي اختاره الراحل الكبير».

خصخصة الفحص الطبّي للعمالة المنزليّة

أعلنت اللجان الطبية بوزارة الصحة تحديث إجراءات الفحص الطبي للعمالة المنزلية ومن في حكمهم.

وأفادت رئيس اللجان الطبية بأنه قد تمّ تشكيل فريق عمل يضم الجهات المعنية لتعديل وتحديث الإجراءات وآلية العمل لتطبيق القرار الصادر بشأن تنظيم فحص العمالة الوافدة وتعديلاته، والذي تم خصخصته من أجل التسريع في إجراءات الفحص الطبي وتقريب المواعيد حفاظًا على السلامة والأمن الصحي.

وأوضحت أن تحديث إجراءات الفحص الطبي للعمالة المنزلية ومن في حكمهم يهدف إلى تعزيز قاعدة بيانات شاملة لجميع العمالة الوافدة، وتحسين وتوحيد إجراءات الفحص الطبي لهم، فضلًا عن تعزيز إشراك القطاع الخاص في تقديم خدمة الفحص الطبي للوافدين.

"الأيام» – 6 أغسطس 2022

شركة «أسري» تطلق برنامجًا شاملًا لإحلال البحرينيين

أكدّت الشركة العربية لبناء وإصلاح السفن "أسري" في مذكرة مرفوعة لمجلس النواب بأنها: "أطلقت برنامجًا شاملا لإحلال الموظفين البحرينيين المؤهلين محل الأجانب في المستقبل القريب"، لافتة إلى أنها: "قامت تنفيذ عدة مبادرات لتحسين نسبة البحرنة لديها عبر التركيز على الموظفين البحرينيين في إدارات الدعم والوظائف الإدارية واقتصار بعض الوظائف التشغيلية على البحرينيين فقط". معتبرةً بأن ذلك: "يمنح الفرصة للمواطنين من شغل المناصب القيادية ويشجع الموظفين الآخرين للمشاركة في هذا البرنامج".

وقالت الشركة بأنها: «طورت برنامج التدريب المهني لتأهيل الخريجين البحرينيين الجدد للعمل في «أسري» عبر برامج تدريبية في موقع العمل ودورات تدريبية اخرى»، وتابعت: «كما قامت الشركة بتوظيف بحرينيات في وظائف ذات توجه عملي كغواصة ومهندسة، وقامت بإبرام اتفاقيات مع جهات تدريب خارجية لتأهيل البحرينيين للعمل».

وأوضحت الشركة بأن: "نسبة البحرنة ارتفعت لديها خلال العام الماضي لتصل إلى 27٪، ووصل اجمالي الموظفين البحرينيين إلى 541 مواطناً من أصل 2007 العدد الاجمالي لموظفي الشركة. وأشارت إلى أنه: "في حال استبعاد العمالة غير الماهرة لديها والبالغ عددهم 1036 عاملاً، فإن نسبة البحرنة في العام 2021 تبلغ ما نسبته 56٪ من اجمالي العمالة".

من جانها قالت وزارة النفط بأن: "شركة أسري تتبع خطة عمل مدروسة وعملية تطبق بمشاركة جميع الإدارات والدوائر المعنية في الشركة بهدف توظيف البحرينيين العاطلين عن العمل وبحرنة الوظائف، من خلال تخصيص العديد من الوظائف وخاصة الإدارية منها للبحرينيين فقط والعمل على برنامج شامل عن طريق التدريب والتأهيل للمساعدة على إحلال بحرينيين محل الأجانب ممن يشغلون هذه الوظائف"، وتابعت: «واهتمت بفئة الشباب حديثي التخرج واستحداث برامج تدريبية لتأهيلهم لشغل وظائف في قطاع صناعة السفن بعد تدريبيهم من خلال برنامج محددة تشمل التدريب على رأس العمل بالإضافة إلى بعض الدورات الداعمة".

«أخبار الخليج» – 20 أغسطس 2022

نقابة طياري «الخليج» عضواً بالاتحاد الدولي لعمال النقل

أعلنت نقابة طياري طيران الخليج، عن اكتسابها عضوية الاتحاد الدولي لعمال النقل (ITF).

وبيّنت النقابة بأن الاتحاد الدولي لعمال النقل (ITF) هو اتحاد ديمقراطي للنقابات المنتسبة ومعترف به على أنه السلطة القائدة للنقل في العالم، هدفها تحسين حياة العمل، وتشكل روابط متينة بين ما يقارب 700 نقابة عمالية من 150 دولة والتي من دون هذه الروابط والعلاقات ستكون معزولة عن بعضها، ويساعد الاتحاد أعضائه لضمان الحقوق والمساواة والعدالة. ويعتبر صوتا لـ20 مليون عامل من الرجال والنساء في جميع أنحاء العالم.

"البلاد» – 16 أغسطس 2022

مطالبات عمالية في «ألبـــا» لصرف «overtime»

طالب رئيس النقابة العمالية بشركة ألمنيوم البحرين "ألبا" يونس آل مبارك، إدارة الشركة بدفع مستحقات العمل الإضافي المعطلة منذ العام 2018. موضحاً بأن: " الشركة شهدت مؤخراً زيادة في الأرباح المعلنة لهذه الفترة من السنة، بفضل جهود العمال".

كما دعا آل مبارك إلى: "وقف سياسة اجبار العمل بدون مقابل مادي". منوهاً إلى أنه: "يتم تشغيل العمال وقت إضافي بدون مقابل مادي أو يتم دفعها بشكل جزئي". وواصل: "اصبح العامل يستلم مستحقات عمل اضافي لساعتين مثلاً من أصل 10 ساعات عمل".

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

عمال ألبا يحققون 29 مليون ساعة عمل بدون إصابات

أوضح رئيس نقابة عمال شركة ألمنيوم البحرين «ألبا» ياسر الحجيري بأن: «الاجتماعات الدورية مستمرة بين إدارة الشركة ونقابة عمال البا ولم تتوقف»، مشيراً إلى أن: "آليات التفاوض والعمل المشترك أثمرت عن نتائج ايجابية تصب في صالح العمال وتنعكس على أداء الشركة وانتظام عمليات الإنتاج».

كان ذلك في لقاء الرئيس التنفيذي لشركة "ألبا" بمجلس ادارة النقابة، لبحث ومتابعة العديد من المقترحات والمواضيع التي تصب في مصلحة الموظفين، ومناقشة الحلول لبعض التحديات التي تواجهها الشركة.

واعتبر الرئيس التنفيذي بأن: "جهود النقابة ساهمت في تعزيز مستوى السلامة لدى الموظفين، مما أدى لتحقيق 29 مليون ساعة عمل آمنة دون أي إصابة مضيعة للوقت حتى الشهر الماضي». مشيراً إلى أن: "تفاني الموظفين وأدائهم المتميز، انعكس بالإيجاب على الأداء المالي للشركة خلال النصف الأول من العام الجاري".

استمراراً لتحرك كتلة «تقدم»

نوّاب: توجيه الوفورات المالية لوقف تدهور الأوضاع المعيشية للمواطنين

دعت كتلة «تقدم» البرلمانية بمعيّة عدد من النواب لإلغاء زيادة الـ 5٪ الإضافية لضريبة القيمة المضافة، واستعادة شرائح المتقاعدين لزيادتهم السنوية الـ 3٪ كمعادل للتضخم ضمن إجراءات المراجعات المطلوبة شعبيًا، حيث إن ترك الأمور هكذا بدون معالجات حقيقية، سيؤدي حتمًا إلى تدهور الأوضاع المعيشية لشرائح واسعة من المواطنين.

وقال النواب: عبد النبي سلمان، يوسف زينل، فلاح السيد هاشم، خالد صالح بوعنق، محمد خليفة بوحمود، ممدوح الصالح، زينب عبدالامير، ابراهيم خالد النفيعي، عمار آل عباس، محمود البحراني، بأنه في ظل ما أعلنته الحكومة من نتائج نصف سنوية مبشرة، نتأمل بتحقيق انفراجات مأمولة في الوضعين المعيشي والاجتماعي.

وأكدّ النواب العشرة أن الفوائض التي تحققت وأعلن عنها لم تأت من فراغ، وإنما جاءت كمؤشرات أولية على نجاح السياسات المالية المتبعة كما أعلن، علاوة على تحسن الوضع المالي في مملكة البحرين، وأن ذلك قد تحقق وبدرجة أساسية بسبب ارتفاع اسعار النفط، حيث ارتفعت الإيرادات الفعلية

بنسبة 52٪ مقارنة بذات الفترة من العام الماضي، إضافة إلى ارتفاع الإيرادات غير النفطية لذات الفترة المشار اليها بنسبة تفوق 57٪.

وأردفوا: وإزاء تلك النتائج الجيدة، وما توافر بسببها من فوائض مالية نصف سنوية، واستعادة الدولة قدرتها بشكل أفضل على تحسين دفوعاتها المالية المرتبطة بفوائد السندات الحكومية، وأمام ما تفصح عنه الأرقام والتوقعات العالمية الرصينة من إمكانية استمرار الارتفاع في أسعار النفط في الأسواق العالمية أو بقائها على الأقل ضمن المعدلات القائمة،

وطالب النواب رئيسة المجلس وانطلاقًا من موقعها ومسؤولياتها في هذا الشأن، بالمتابعة الجادة لما طرحوه من رغبة صادقة للجلوس مع الحكومة بمناقشة الأوضاع المعيشية، وعدم الاكتفاء برفع رسالة لا تستتبعها متابعات أو إصرار لطلب نواب الشعب، حيث لم يتسنَ حتى الآن الحصول على أي رد من قبل رئيسة المجلس، ولم يعقد أي اجتماع لهيئة المكتب من أجل طرح الموضوع للنقاش وهو أمر مرفوض جملةً وتفصيلًا من قبلنا.

وجاء في بيان النواب: «في المقابل لم نلمس بشكل حقيقي وفاعل زيادة معدلات التوظيف في أوساط العاطلين ومن مختلف الفئات، خاصة خريجي الجامعات، في الوقت الذي زالت فيه العمالة الأجنبية مهيمنة بشكل غير مسبوق على غالبية الفرص الوظيفية المتوافرة في سوق العمل، وهو أمر لو تمّ التعاطي معه بشكل أكثر جدية فإنه حتما سيوفر المزيد من الارتياح المعيشي بالنسبة للأسر والأفراد، ويعيد التوازن للسوق وللقوة الشرائية ويقوي بدوره من دوران وقوة الاقتصاد الوطني، ويسهم في التحسن التدريجي للأسر والأفراد على حد سواء، وسيسهم أيضًا في زيادة معدلات النمو.

نواب: تعاطي وزارة التربية مع البعثات يفتقد العدالة بين الطلبة

أصدر مجموعة من النواب بيانا انتقدوا فيه تعاطي وزارة التربية والتعليم مع ملف البعثات واستمرار تعاملها مع هذا الملف الحيوي والهام وبشكل يفتقد الى ما صرحت به الوزارة من معايير العدالة بين جميع الطلبة، وهذا ما يعتبر اجحاف لجهود المتفوقين من الخريجين ومستفز للرأي العام.

وقال النواب الموقعون على البيان: عبدالنبي سلمان، السيد فلاح هاشم، يوسف زينل، محمود البحراني، عمار آل عباس، ممدوح الصالح، كلثم الحايكي، وزينب عبدالامير، إن: الوزارة مستمرة في ذات الآلية المعتمدة بتوزيع البعثات والتي تفتقر الى ابسط معايير الشفافية مما يثير الكثير من اللغط كل عام.

وأوضح النواب أن آلية توزيع البعثات والمنح الدراسية هذا العام رفعت منسوب الشكاوى والسخط على الوزارة وان مكاتب النواب باتت تعج برسائل الخريجين الذين يطالبون من النواب التدخل لإنهاء ما وقع عليهم من ظلم.

وأردفوا أن: «وزارة التربية لا تبذل الجهد المطلوب لتقديم بعثات ومنح بتخصصات تتوافق مع ما تتطلبه سوق العمل على الرغم من نسبة البطالة في بعض التخصصات تواصل الوزارة تقديم المنح والبعثات فيها مما يعد اهدار لطاقات هذا المجموعات من الطلبة علاوة على اهدار للمال العام وسوء تخطيط وبما لا يتلاءم مع الجهود المبذولة لخفض نسبة البطالة بين الجامعيين ولا تساهم في تفعيل سياسة الاحلال للموظفين والعاملين الأجانب».

سلمان يدعو لاستراتيجية لتمكين الشباب البحريني في صناعة الصيرفة

أكدّ عضو كتلة «تقدّم» النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان أنه لتطوير صناعة الصيرفة في البحرين يجب أن يُستفاد من الخبرات التراكمية والتطورات في صناعة الصيرفة التي أثبت فيها شباب وشابات البحرين قدرات استثنائية، طالما استفادت منها العديد من دول الجوار، وبالتالي فإن الطموح هو أن توجد لدينا استراتيجية وطنية ذات أفق واضح وخطط خمسية لإحلال العمالة الوطنية المؤهلة بأحدث البرامج العلمية والأكاديمية في هذه الصناعة الواعدة، والتي أثبتت البحرين بشبابها علو كعبها وامكاناتها الكبيرة الواضحة والضمنية.

كما أضاف النائب سلمان أن نسبة الـ60٪ للبحرنة في هذا القطاع يفترض ألا تكون مقبولة من قبل مصرف البحرين المركزي ولا حتى من البنوك العاملة في البحرين، التي وضح توسعها الكبير في مجالات الصيرفة بكل تفرعاتها، ولا بد من أن يأخذنا الطموح للوصول تدريجيا إلى نسبة تفوق 90٪، خاصة أن لدينا أهم مراكز تدريب مصرفية على مستوى المنطقة.

وشدّد سلمان على أن قطاع البنوك والمؤسسات المالية يشكل جانبًا مهمًا وأساسيًا من الدخل القومي للبحرين، وهو في نمو مضطرد عامًا بعد آخر، ولا بد من إيلائه أهمية أكبر وأن توضع له استراتيجيات واعدة، خاصة في جوانب إعطاء الفرصة كاملة لشباب وشابات الوطن، ولن يتحقق ذلك إلا بتضافر الجهود بين مختلف الجهات وضمن خطة استراتيجية ووطنية سنظل نطالب بها لكي يجد أبناء الوطن فرصتهم في الإسهام الجدي في عملية التنمية.

إدانة نيابية لاعتداءات الكيان الصهيوني على غزة ومطالبة بوقف التطبيع

أدان عشرة أعضاء بمجلس النواب اعتداءات الكيان الصهيوني على غزة مطالبين بوقف فوري لسياسات التطبيع. ودعا النواب: عبد النبي سلمان، سيد فلاح هاشم، يوسف زينل، محمود البحراني، محمد خليفة بو حمود، عمار عباس، ممدوح الصالح، كلثم الحايكي، إبراهيم النفيعي، والدكتور هشام العشيري، إلى تخاذ اجراءات عملية بتجميد كافة خطوات التطبيع مع الكيان الغاصب. مشددين على دعهم مساندتهم لنضالات الشعب الفلسطيني من اجل استعادة كامل حقوقه المشروعة.

وقال النواب بأن: «هذه الاعتداءات التي تأتي متزامنة مع اعتداءات أخرى ممنهجة على المسجد الأقصى من قبل المتطرفين الصهاينة، تحت حماية ورعاية كاملتين من الكيان الصهيوني الغاصب وأجهزته العسكرية العدوانية»، مشيرين إلى أن: «تلك الجرائم الصهيونية تأتي وسط صمت دولي، وتعاط عربي رسمي خجول، لا يرقى لجسامة الحدث وما يجري من دمار وقتل، فيما يجري التسويق لاتفاقيات التطبيع والتعاون مع الكيان الصهيوني، التي لم تزد هذا الكيان إلا صلفا وتعنتا وتغولا في اعتداءاته على الشعب الفلسطيني، أملا منه في كسر جذوة النضال الفلسطيني من أجل نيل حقوقه المشروعة».

هاشم: يجب توثيق اتفاقيات العمل الجماعية وفي الشركات الكبرى والحكومية

أعتبر النائب عن كتلة «تقدّم» البرلمانية فلاح هاشم بأن: «إعلان النقابة العامة لعمال الموانئ توقيع اتفاق جماعي مع الشركة ونشره بالجريدة الرسمية، يُعدّ الأول من نوعه منذ تشريع العمل النقابي في 2002 وتأسيس النقابات وبعدها تأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين».

وأوضح هاشم بان: «التوثيق في الجريدة الرسمية يمثل نقلة نوعية ومساهمة في تطوير منظومة التشريع العمالي بمشاركة من أطراف الإنتاج وبرعاية حكومية تمثلت في وزارة العمل مما يساهم في التأصيل للشراكة بين أطراف الإنتاج». وتابع: «سيكون لذلك مردود إيجابي على استقرار بيئة العمل بعلاقات عمالية سليمة بين إدارة الشركة وممثلي العمال، والذي سيسهم في رضا العاملين بحيث ينعكس على الانتاجية وريادة الشركة وموقعها في سوق العمل البحريني، وهذا التوجه يعكس نظرة ايجابية الى توجه الادارة الجديدة والتي تعاطت بقانونية وشفافية أكبر».

وأوضح هاشم بأنه: «تقدم بسؤال لوزير العمل بشأن اتفاقيات العمل الجماعية وتوثيقها في الجريدة الرسمية، والذي نفى حينها الوزير توثيق أي من الاتفاقيات، رغم استعراض العديد من اتفاقيات العمل الجماعية والتي تم توثيق بعضا منها في وزارة العدل إلا إنه لم يتم نشر أي من تلك الاتفاقيات في الجريدة الرسمية».

وشدد هاشم على: «أهمية توثيق جميع اتفاقيات العمل الجماعية، وفي مقدمتهم الشركات الكبرى والحكومية، لما لها من دلالة على علاقات العمل السوية ويعزز استقرار بيئة العمل بعلاقات عمالية سليمة ومتكافئة بين ادارات الشركات وممثلي العاملين».

زينل: وضع حل جذري لتجمعات مياه اللوزي

شدد النائب عن كتلة «تقدم» البرلمانية يوسف زينل على: «أهمية تجاوز الحلول الترقيعية والتي تستنزف الجهود والأموال ولا تسهم في القضاء على المشكلة وهو تمامًا ما جرى في منطقة اللوزي التي فشلت بنيتها التحتية في استيعاب وتصريف مياه أمطار لم يتجاوز هطولها مدة نصف ساعة». وتابع: «مما يؤكد عدم قيام الوزارات المعنية بواجباتها تجاه المشكلة ووضع حل جذري لها».

كما أكدّ زينل على: «ضرورة مساءلة ومحاسبة المقصرين، مطالبًا بوجوب العمل الجاد على منع حدوث المشكلة جراء أية موجة أمطار قادمة، ولزوم اتخاذ الجهات المعنية لما يلزم وبصورة فورية للتخفيف من معاناة الناس جراء هطول الأمطار».

مطرقة البرلمان

حول بيان النواب العشرة الأخير

جدد عشرة من أعضاء مجلس النواب، وفي مقدمتهم اعضاء كتلة تقدّم البرلمانية مطالبتهم المشروعة لرئيسة المجلس بضرورة متابعة طلبهم رسميا منذ أكثر من شهرين بعقد اجتماع عاجل مع الحكومة الموقرة لتدارس التعاطي مع مستجدات الأوضاع المعيشية والإقتصادية في البحرين، وذلك بعد أن بدأ الناس في بلادنا وبجميع شرائحهم، استشعار تزايد الضغوطات المعيشية عليهم بشكل خاص، وعلى الوضعين الإقتصادي والإجتماعي بصور أضحت جلية للجميع.

عبد النبي سلمان

اللافت في الأمر، وبكل أسف، أن رئاسة المجلس لم تحرك ساكنًا منذ أن استلمت خطاب النواب العشرة، وربما اكتفت منذ البداية بالقول إنها رفعت الطلب للحكومة ونقطة على آخر السطر!! والعبرة هنا ليست بالإكتفاء فقط برفع الخطاب، وإنما المتابعة والإصرار وتعزيز شخصية ودور السلطة التشريعية تجاه ما هو مطلوب من السلطة التنفيذية أو غيرها من السلطات، من خلال متابعة رئاسة المجلس حتى سماع رد الحكومة على الأقل، إما سلبًا او إيجابًا، ومبررات موقفها من مضامين الخطاب بالدرجة الأولى، لكن للأسف لم يحصل ذلك حتى الآن وذلك موقف غير مفهوم بالمرة! وهو موقف لا يدعونا البتة القبول بوضع رئاسي لا يقدّم ولا يؤخر!

في كل الحالات، لا يجب أن يفهم أي طرف كان، بما فيه الشارع أن النواب العشرة إنما أرادوا تلميع صورهم، كما يعتقد البعض، فهؤلاء النواب تحديدًا لطالما نافحوا ودافعوا عن مختلف المطالب الشعبية طيلة الأربع سنوات الماضية، داخل وخارج المجلس وعبر وسائل التواصل الإجتماعي ووسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال مداخلاتهم واسئلتهم ولجان التحقيق التي طالبوا وشاركوا فيها بفاعلية، وفي مختلف الملفات المعيشية والرقابية والتشريعية، أملا في إحداث قناعة لدى الجانب الرسمي بضرورة المزيد من الإصغاء لصوت الشارع وتحسس مواجعه ومتاعبه التي لم تتوقف، خاصة مع ارتفاع نسب التضخم ومراوحة ملفات البطالة والتوظيف والإسكان والصحة والتعليم وسوق العمل والبعثات والخدمات العامة وغيرها في ذات المواقع السابقة دون إنفراجات مقنعة للشارع، مهما تقوّلت بعض الأرقام والنسب.

باعتقادي وقناعتي المتواضعة، أننا بذلك الفعل نبرهن مجددًا أننا متصلون ومهتمون بقضايا الناس والوطن وضرورة الإلتفات اليها وعدم التسويف والإهمال حيال ضرورة ايجاد حلول ناجعة ومستدامة لها، فقد كنا ولازلنا نمارس دورنا ومسؤلياتنا تجاه الوطن وقضايا وهموم من أوصلونا لقبة البرلمان، فالنائب، بل ورئيس المجلس على وجه التحديد، لا يجب أبداً أن يتصرف باعتباره موظفًا حكوميًا، كما نستشعر ذلك في العديد من المواقف الصغيرة والمفصلية على حدٍ سواء، ممن ينتظرون صدور القرارات الرسمية أولًا كي يتفاعلوا معها، وإنما يجب أن يكونوا هم المبادرين والمدافعين بضمير ومسؤولية، وباحترام لقسمهم الدستوري تجاه ما أسند اليهم من تكليف شعبي ووطني، وانطلاقا من المصلحة الوطنية العلياء التي هي مقرونة بالإخلاص لمشروع جلالة الملك الإصلاحي بالدرجة الأساس، الذي نرى فيه مصلحة حاضر الوطن ومستقبله.

ونحن إذ نصرّ على ذلك فإننا نطمح إلى ضرورة الإسهام من مواقعنا مع حكومة جديدة برئاسة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، ولا نشك أبدًا أنها (الحكومة) تمتلك الطموح ومهمة التجديد وتعزيز عوامل الثقة، وبالتالي الإرتقاء بالعمل العام والرسمي وتقديم خدمات افضل وتحقيق مستويات فضلى من العدالة والرخاء للجميع من خلال برامجها وورش عملها المعلنة للارتقاء بأدوار الحكومة وبالوضعين الإقتصادي والإجتماعي على وجه التحديد.

لذلك فإننا سنستمر في متابعة مطلبنا المحق سعيًا منا لخلق ذلك النوع من التفاهم والتعاون والتكامل في الأدوار، لأننا ننشد الخير والإصلاح والتطور لمجتمعنا ولبلدنا الحبيب، ونحن نعرف حجم التحديّات أمام الجميع لكننا لن نتخاذل عن القيام بمهماتنا ولن نستسلم فقط لحسن النوايا، وسنظل نبحث عن كيفية تعزيز قدراتنا وأدوارنا نحو تحقيق ما هو ممكن لإسعاد شعبنا والإرتقاء ببلدنا، ولن يعيقنا أبدًا أن يتراخى البعض عن القيام بمهماته والتزاماته تجاه الوطن والناس.

السجون المفتوحة خطوة إيجابية بحاجة لاستكمال

عادل المتروك

قيام مملكة البحرين بتطبيق السجون المفتوحة تعدّ تجربة رائدة على مستوى المنطقة وتطوراً نحو السبل الكفيلة بتحقيق استقرار يعزز ايجاد انفراج للأزمة السياسية الخانقة منذ أكثر من عقد من الزمن، وكان لهذه الخطوة الكثير من الترحيب من مختلف فئات وشرائح المجتمع، لما تحققه من جبر لخواطر الامهات وأهالي المعتقلين وتشيع ارتياحاً عاماً نحن فعلًا في أمس الحاجة اليه.

وانطلاقًا من القاعدة التي ترتب العقوبة كغاية اجتماعية هدفها الحفاظ على السلم والاستقرار الأهليين، لابد من التأكيد على أهمية السعي الحثيث والمستمر لاستلهام التجارب العالمية من الأمم الراقية التي حققت نتائج ملموسة وايجابية في ممارسة العقوبات البديلة ناهيك عن أهمية بلورة وعي جمعي يتناغم مع روح العصر لا يجرّم نشطاء العمل السياسي والحقوقي، ويعمل على إعداد كوادر في الجهاز الإداري للدولة متفهمة لدور ومكانة الجمعيات السياسية بوصف الأخيرة أحد الدعائم الأساسية التي تبنى عليها النظم الديمقراطية.

إن بسط سيطرة السلطة على الرأي العام في التعبير عن آرائهم ومواقفهم حول نمط السياسة الرسمية تجاههم، بما في ذلك ابداء وجهات نظرهم في أداء القائمين بالعمل العام، حتى لو كانت هذه السيطرة مبنية على تشريعات قانونية فهي تبقى في نهاية المطاف هيمنة يقصد منها بسط سلطان السلطة على الآراء والمشاعر العامة، وإهدار لسلطان العقل وبث الرهبة التي تقوّض الإبداع والتعبير، وتكون حاجباً يحول دون نفاذ العامة إلى الحقائق المتصلة بهم.

يتصل هذا الموضوع بالوصول إلى المعلومات الكاشفة عن عيوب أسلوب إدارات الدولة ومحاسبة القائمين على تلك الإدارات، وهي حاجة ملحة ولازمة لاستقامة البناء السياسي السليم الذي يمتنع فيه من يملكون القرار عن إساءة استخدام سلطاتهم، ليس لأنهم أرادوا هذا وانما طبيعة الممارسة السياسية المتبعة بما تتوفر فيها من ضمانات حقّة تفرض هذا النمط الإداري السليم.

السجون المفتوحة إذا شملت المحكومين على خلفية أحكام كانت صادرة في قضايا الشأن العام السياسي والحقوقي هي خطوة صغيرة بحاجة إلى إلحاقها بخطوات إضافية لكي تعزز الممارسة الديمقراطية مثل تطوير الدور النيابي بإلغاء القيود التي تحدّ من أداءهم داخل المجلس، وأيضًا رفع القيود التي تكبل الجمعيات السياسية، وهي بالفعل قد أفرغت محتوى هذه الجمعيات من مضامينها بعد شلّ قدراتها على البقاء والاستمرار، كما ان القرارات والقيود على حرية الرأي والتعبير تلاحق المدونين والنشطاء وتعوقهم عن بيان مظاهر الخلل في العمل العام.

إن اسقاط القيود القانونية التي تحول دون الممارسة الديمقراطية الحقة اصبح ضرورة تقتضيها اشتراطات المواكبة العصرية لتطور النظم الحياتية بمعناها العام وليس فقط السياسي، بما فيها الانفتاح على التطور التقني بما له من قدرة على النفاذ إلى الاحصائيات والبيانات والمعلومات التي كانت في السابق محجوبة عن العامة ويتعذر الوصول اليها، وكذا هو أيضًا شرط لازم لنمط اقتصادي حديث تبتغيه المكاشفة في التعاقدات البينية حتى في القطاع الخاص لتعزيز الثقة في تنمية الإستثمارات وفي تداول رأس المال، ولكي تتوفر فيها الضمانات لتعقب التلاعب والرشوة والاختلاسات.

إن الحاجة إلى الممارسة الديمقراطية الحقة تمتد الى كل مناحي الحياة ليستقيم التوازن ويصحّ معه البناء الإداري وتأمن النفوس فيها من عصا الجلاد.

من أهم أسباب ضعف أداء السلطة التشريعية

القيود المفروضة على الاختصاص التشريعي والرقابي لمجلس النواب

البرلمان كما يقول فقهاء القانون العام هو قبل كل شيء جمعية مراقبين، مهمته الأولى – وربما الأكثر أهمية من التصويت على القوانين – هي مراقبة الحكومة عن طريق طرح موضوع عام للمناقشة وتوجيه الأسئلة والاستجوابات وسحب الثقة، وتشكيل لجان التحقيق ومناقشة الميزانية وإجبار الحكومة على تبرير تصرفاتها وقراراتها أمام الناس.

حسن إسماعيل

وقد أقرّ دستور مملكة البحرين 2002 شأنه في ذلك شأن دستور1973 مبدأ إخضاع أعمال الحكومة للرقابة البرلمانية، إلا أن دستور 2002 رغم انه قد انتقص من وسائل هذه الرقابة بأن ألغى بعضها، وقلّص من صلاحيات بعضها الآخر، إلا أن هذه الوسائل ظلّت في هذا الدستور أدوات هامة بيد أعضاء مجلس النواب لمراقبة الحكومة متى ما استخدمت استخداماً فعالاً، ومتى ما ألغيت القيود التي وضعتها اللائحة الداخلية عليها، ومتى ما وجد النائب الذي يتقن فن استعمالها.

غير أن قراءة تجربة أعمال مجلس النواب التي بدأت في ظل المشروع الإصلاحي منذ الفصل التشريعي الأول في ديسمبر 2002 وحتى الفصل التشريعي الخامس الماضي، تكشف أن الحكومة رغم القيود التي وضعتها على وسائل الرقابة البرلمانية كانت وما تزال تخشاها، وظلّت الحكومة على مدار عمر هذه التجربة تضع من القيود الجديدة على هذه الوسائل.

لن نشير في بيان هذه القيود لكل وسائل الرقابة التي يختص بها مجلس النواب بل ستناول كمثال وسائل: طرح موضوع عام للمناقشة، السؤال، الاستجواب.

أولاً: وسيلة طرح موضوع عام للمناقشة العامة

قد استبشر المتابع للشأن السياسي والدستوري خيراً بما نصت عليه التعديلات الدستورية لعام 2012، بأن أعادت الاعتبار لحق مجلس النواب في طرح موضوع عام للمناقشة العامة، كوسيلة من الوسائل الرقابة فنص في المادة (68 البند ب) على انه (يجوز بناءً على طلب موقع من خمسة أعضاء على الأقل من مجلس النواب، طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه، وتبادل الرأي بصدده، وفقاً للضوابط التي تحددها اللائحة الداخلية للمجلس).

وقد مارس مجلس النواب وسيلة طرح موضوع عام للمناقشة في فصله التشريعي الخامس المنصرم 10 مرات لعل أبرزها الموضوع المتعلق بالسياسة التعليمية في مملكة البحرين التي تمت مناقشته في جلسة المجلس المؤرخة في 2019-11-05، وكانت بحق مناقشة لموضوع كان يهم قطاع كبير من شعب البحرين أزعجت صانع قرار السياسية التعليمية في البحرين

تمخض عنها 70 توصية تمت الموافقة على إحالتها للحكومة.

ولان المناقشة العامة أصبحت مزعجة لصانع السياسية العامة في الدولة صدر خلال فترة إجازة المجلس ما بين دور الانعقاد الثاني والثالث ودون ان يتوافر له شرط الاستعجال مرسوم بقانون رقم (26) لسنة 2020 بتعديل المادة (173) من اللائحة الداخلية لمجلس النواب صدر في 3 سبتمبر 2020، فوضع التعديل قيود على المناقشة العامة نالت من مفهوم وأهمية المناقشة العامة، وأفرغت المناقشة العامة من محتواها ومن الغاية التي شرعت لأجلها وقد وافق للأسف المجلس عليها. فنصّ هذا التعديل على القيود التالية:

• لا يجوز لأكثر من عشرة أعضاء الاشتراك في المناقشة العامة:

وهذا يتعارض مع خاصية عمومية المناقشة العامة ذلك أن من اهم وابرز خصائص المناقشة العامة التي أوجدها الفقه والقانون الدستوريين، أنها وسيلة جماعية وأن المناقشة فيها يتعين تكون عامة، وأن الأساس الجوهري التي تقوم عليه وتمتاز به وسيلة طلب طرح موضوع عام للمناقشة العامة كوسيلة من وسائل الرقابة البرلمانية على أعمال الحكومة هي ان تكون المناقشة عامة بمعنى أن يشارك فيها جميع أعضاء المجلس النيابي أو على الأقل الراغب منهم، وذلك باعتبارها وسيلة جماعية وليست فردية بنص الدستور في مادته (68 / البند ب) التي تستلزم أن يتوافر في طلب طرح المناقشة العامة عدد موقع من خمسة أعضاء على الأقل .

وبناء عليه وهديا به فإن ما أجراه المشرع من تعديلات على نص المادة (173) من اللائحة الداخلية لمجلس النواب بتحديد عدد عشرة أعضاء فقط للاشتراك في المناقشة العامة يخالف ويناقض الأساس الذي يقوم عليه طلب طرح موضوع عام للمناقشة العامة، وهو عمومية المناقشة، أي حق من يريد من أعضاء مجلس النواب في المناقشة دون تقييد ذلك بعدد معين.

غير أن هذا الرأي يصطدم بما فسرته المذكرة التفسيرية للمادة (68 / البند ب) من تفسير ملتو يخالف ما استقر عليه الفقه الدستوري وما تسير عليهً معظم الدول في دساتيرها حين نصّت على أن تنظيم طرح موضوع عام للمناقشة العامة سيخضع (وفقاً للإجراءات التي ستنص عليها اللائحة الداخلية للمجلس وخاصة تحديد عدد من يشترك في المناقشة).

• لا يجوز أن تتضمن المناقشة توجيه النقد أو اللوم أو الاتهام، أو أن تتضمن أقوالاً تخالف الدستور أو القانون أو تشكل مساساً بكرامة الأشخاص أو الهيئات أو إضراراً بالمصلحة العليا للبلاد.

إذا كان من المقبول أن يحدد التعديل وقتا للمناقشة مدته خمس دقائق لكل عضو من الأعضاء العشرة، وإذا كان صحيحاً أن ينص التعديل على عدم إجازة توجيه الإتهام في المناقشة العامة – لأن هذه الوسيلة لا تهدف إلى توجيه الاتهام للوزير بهدف تحريك مسؤوليته السياسية كما هو الحال في الاستجواب، بل تهدف إلى الوصول إلى حل بإصلاح الوضع أو المشكلة محل موضوع المناقشة بالتّعاون بين البرلمان والحكومة.

غير أنه ليس من المقبول على الاطلاق أن يشتمل التعديل على عدم إجازة توجيه النقد أو اللوم إلى الوازرة المعنية عند مناقشة موضوع عام يتعلق بها، فلن يكون لمناقشة الموضوع العام أي جدوى ولن يحقق الهدف منه دون نقد أو لوم، وسيكون النقاش فيه مضيعة للوقت، فلا إصلاح للمشكلة دون انتقاد.

ثانياً: في السؤال:

السؤال له أهميته في الرقابة البرلمانية، إلا انه لا يحرك المسؤولية السياسية للحكومة كما هو الحال في الاستجواب كما سنرى لاحقا، فهو يقيم حوارا ثنائيا بين عضو المجلس وأحد الوزراء يريد منه الاستفهام عن أمر يجهله أو عما وصل إلى علمه، فهو لا يثير مناقشة عامة في موضوعه يتدخل فيه بقية أعضاء المجلس، والسؤال لا يؤدي إلى اتخاذ أي قرار من المجلس، بل ينتهي إما بالإجابة أو بالتعقيب على إجابة الوزير.

مع أن السؤال لا يؤدي إلى تحريك المسئولية السياسية، إلا أن اللائحة الداخلية للمجلس قيدته، وعلى الرغم من إيجابية التعديل الدستوري لعام 2018 بشأن وسيلة السؤال كوسيلة رقابية لمجلس النواب حين تم تعديل المادة (91) من الدستور بأن وسعت من دائرة الموجه لهم السؤال بحيث شمل التعديل أعضاء مجلس الوزراء بعد أن كان مقتصرا على الوزراء.

وحددت المذكرة التفسيرية للتعديل الدستوري لهذه المادة من الدستور المقصود من أعضاء مجلس الوزراء من غير الوزراء على انه (توجيه الأسئلة إلى أعضاء مجلس الوزراء بما يشمل رئيس مجلس الوزراء ونوابه، ولا تكون الإجابة على أسئلة أعضاء مجلس النواب في هذه الحالة إلا مكتوبة).

غير أن المذكرة التفسيرية تستثنى منهم صاحب السمو الملكي ولي العهد حين كان نائباً أول لمجلس الوزراء وتسبب المذكرة التفسيرية هذا الاستثناء (بأن (المادة (34) من دستور مملكة البحرين أجازت أن يكون ولي العهد عضواً في مجلس الوزراء الموقر، إلا أنها أفردت أحكاماً خاصة تتناسب مع كونه نائباً لجلالة الملك يمارس صلاحياته في حال غيابه ويرأس السلطات الثلاث، وأن إعمال نص المادة (34) المشار إليها مع التعديل بتوجيه الأسئلة إلى أعضاء مجلس الوزراء يقتضي بالضرورة ألا يشمل ولي العهد حال توليه الوزارة أو كونه أحد نواب رئيس مجلس الوزراء وذلك للمكانة الخاصة التي يتبوءها والتي لا تسمح بتوجيه أية أسئلة إليه إذا كان عضواً بمجلس الوزراء، حيث إن نيابته عن الملك تكون قائمة كأصل عام في كل وقت يغيب فيه جلالة الملك خارج البلاد إلا إذا تعذر ذلك استثناءً).

غير أن تعديلات اللائحة الداخلية لمجلس النواب بموجب المرسوم بقانون رقم (49) لسنة 2018 قد نالت من هذه الإيجابية النسبية التي نص عليها التعديل الدستوري بشأن السؤال حين نصت واشترطت اللائحة الداخلية بأن لا يكون السؤال متعلقا بسابقة على الفصل التشريعي، ما لم يكن موضوع السؤال مستمراً خلال الفصل التشريعي الذي وُجِّه فيه السؤال.

ذلك أن البحث في استمرارية موضوع السؤال من عدم استمراريته خلال الفصل التشريعي الذي وُجِّه فيه السؤال .فضلا عن جود الاستمرارية من عدم جودها ستكون حمالة أوجه أي قابلة للاجتهاد والتفسير فقد يرى بعض من أعضاء المجلس أن موضوع السؤال مستمراً، في حين يرى البعض الاخر ليس كذلك فأنه ايضا سيشغل أجهزة مجلس النواب في هذا البحث في وقت يزدحم فيه جدول إعماله بعدد هائل من الموضوعات المتعددة ، لماذا لا يترك تحديد ذلك للوزير الذى وجه إليه السؤال ليجيب أن موضوع السؤال قد تم تجاوزه وحله ولم يعد موضوعه

مستمرا ، كما أن السائل قد يطلب في السؤال معلومات أو إحصائيات تتعلق بموضوع السؤال يحتاجها حتى وأن كان موضوع السؤال غير مستمر في الفصل التشريعي الذي قدم فيه.

كما ينال من التعديلات الدستورية الإيجابية ما نصت عليه تعديل اللائحة الداخلية بجواز رئيس المجلس استبعاد السؤال إذا لم تتوافر فيه السؤال الشروط اللازمة له، بدلا من مكتب المجلس كما هو في النص الأصلي، وفي حالة اعتراض العضو مقدم السؤال على وجهة نظر الرئيس، عُرِض الأمر على مكتب المجلس للبتّ فيه ويكون قراره في هذا الشأن نهائياً. بدلا كما هو في أصل النص أن الراي النهائي للمجلس، ويعد هذا التعديل مصادرة لحق بقية أعضاء مجلس النواب في مناقشة مدى توافر هذه الشروط في السؤال من عدمه، ويتعين أن يكون المجلس هو صاحب القرار النهائي، تماما كما كان في النص قبل التعديل. (330) سؤالا برلماني.

ثالثاً: الاستجواب:

يعتبر الاستجواب أهم وسائل الرقابة البرلمانية على أعمال الحكومة، إذ يحقق رقابة فعليه لمجلس النواب في مواجهة السلطة التنفيذية، وهو يعني محاسبة الوزير واتهامه في الوقت ذاته، وقد يؤدي إلى تحريك مسئوليته السياسية بطرح الثقة به وإجباره على الاستقالة، والاستجواب على عكس السؤال يفتح مناقشة حقيقية لا يشارك فيه مقدمو الاستجواب وحدهم بل سائر الأعضاء.

وعلى الرغم أن الاستجواب كان مقيدا في الدستور واللائحة الداخلية منذ الفصل التشريعي الأول بضرورة مناقشة الاستجواب داخل اللجان وليس داخل المجلس، فأن المجلس نجح بأغلبية الأعضاء بالموافقة لأول مرة في هذا الفصل على اثر ما توصلت إليه لجنة التحقيق في تجاوزات الهيئتين ، الهيئة العامة للتأمينات ، وصندوق التقاعد ، بتوجيه ثلاثة استجوابات لكل من وزير المالية ، وزير العمل ، وزير الدولة بصفته رئيسا سابقا لمجلس إدارة الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية ، أبرزها الاستجواب الموجه لوزير المالية والاقتصاد الوطني بصفته رئيسا لمجلس إدارة الهيئة العامة لصندوق التقاعد الذي تقدم به 17 نائب، غير ان هذا الاستجواب رغم أنه لم يؤد إلى إدانة الوزير المستجوب، وبالتالي لم يؤدي إلى طرح الثقة به، إلى انه وصل إلى مناقشة الوزير في اللجنة المعنية التي أحيل إليها واصدرت تقريرا بشأنه اشتمل على ملاحظات وتوصيات وتوصل إلى عدم ادانة الوزير، وصوت المجلس على تقرير اللجنة بجلسة 25 مايو 2004 إذ صوت 8 نواب غير موافقين على التقرير وإدانة الوزير وهم السادة احمد حسين ، جاسم عبدالعال ،سمير الشويخ ، عبدالهادي مرهون، عثمان شريف، محمد آل عباس، يوسف زينل، وعبدالنبي سلمان و29 نائبا موافق على عدم إدانته من اصل 37 نائب.

ولم يتمكن مجلس النواب في فصوله التشريعية التالية للفصل الأول من استجواب أي وزير وقد وكان من الأسباب الرئيسة خاصة في الفصلين الرابع والخامس هو التعديل الذي اقترحه للأسف بعض نواب الفصل التشريعي الثالث على المادة (145) مكرراً (1) الفقرة الثالثة من اللائحة الداخلية فصدر بموجب قانون رقم (32) لسنة 2014 التي نصت على أنه (لا يعد الاستجواب جدياً إلا إذا وافق على ذلك ثلثا أعضاء المجلس). فقيد نفسه وهي سابقة لا مثيل لها على الإطلاق وجاءت بالمخالفة للدستور الذي حدد بنصوص صريحة وواضحة الحالات التي تشترط أغلبية الثلثين، وهي حالة اعتراض الملك على مشروع القانون وحالة عدم الثقة بأحد الوزراء، وحالة عدم إمكان التعاون مع رئيس مجلس الوزراء، وحالة سقوط العضوية لأي عضو من أعضاء المجلسين، وحالة تعديل أحكام الدستور.

مما تقدم يتبين أن الدستور لم ينص على أغلبية خاصة (الثلثين) لإصدار قرار من مجلس النواب بجدية الاستجواب من عدمه ، وأن هذه الأغلبية حصرها المشرع الدستوري في الحالات المشار إليها دون غيرها ، ومن ثم فأن نص المادة (145) مكرراً (1) الفقرة الثالثة من اللائحة الداخلية التي نصت على عدم اعتبار الاستجواب جدياً إلا إذا وافق على ذلك ثلثا أعضاء المجلس. جاء مخالفا لإحكام الدستور يتعين إعادة النظر فيه.

وبهذا التعديل أصبحت مناقشة الاستجواب مستحيلة، وبه قضى وقتل الايجابية النسبية التي أوجدتها التعديلات الدستورية لعام 2012 في شأن الاستجواب على أن (تجرى مناقشة الاستجواب في المجلس مالم يقرر أغلبية أعضائه مناقشته في اللجنة المختصة)، فأصبحت مناقشة الاستجواب مستحيلة ليس في داخل المجلس فحسب بل في اللجنة المختصة كما جاءت في التعديلات الدستورية، وقد تجرأ وحاول بعض من نواب الفصل التشريعي الخامس التقدّم بطلب استجوابين لا ثالث لهما الأول في دور الانعقاد الأول ضد وزيرة الصحة فائقة الصالح، والثاني في دور الانعقاد الثاني ضد وزير العمل والشؤون الاجتماعية جميل بن محمد علي حميدان وزير العمل والتنمية الاجتماعية، غير أن المجلس قرر الموافقة في كلاهما على توصية اللجنة بعدم جديّة الاستجواب.

في التشريع:

حاولتُ البحث من خلال موقع مجلس النواب معرفة عدد الاقتراحات بقانون المقدمة مجلس النواب والتي تمّ إقرارها وإصدارها بموجب قانون، فوجدت أن معظم هذه الاقتراحات هي قيد الدارسة في اللجان، أي لم يتم إقرارها من قبل المجلس ولم يتم إحالتها إلى الحكومة لوضعها في صيغة مشروع قانون. وهذا يعني سقوطها بنهاية الفصل التشريعي حسب نص المادة (119) تسقط جميع الاقتراحات بقوانين بنهاية الفصل التشريعي، وذلك فيما عدا الاقتراحات بقوانين التي سبق أن وافق عليها المجلس السابق وتقرر إحالتها إلى الحكومة لوضع صياغتها فيطبق بشأنها ما ورد في المادة (102) من هذه اللائحة.

تقول المادة: " يخطر رئيس المجلس رئيس مجلس الوزراء خلال الخمسة عشر يوما التالية لافتتاح دور الانعقاد الأول من كل فصل تشريعي، بمشروعات القوانين التي لم يفصل فيها المجلس السابق وإذا لم تطلب الحكومة من رئيس المجلس استمرار النظر في المشروعات المذكورة خلال شهرين من تاريخ إخطار رئيس مجلس الوزراء اعتبرت غير قائمة."

غير أنه بغض النظر عن عدد الاقتراحات بقانون التي اقرت وصدرت بموجب قانون فان هذا التصريح يكشف على أن الغلبة إلى الحكومة في المجال التشريعي وذلك بحساب مجموع مشروعات القوانين والمراسيم بقوانين المقدمة منها وعددها (47) مرسوماً بقانون، و(156) مشروعا بقانون = 203، وجمعيها تمت الموافقة عليها من قبل المجلس وصدرت بموجب قانون، في مقابل ذلك ما قدمه المجلس من اقتراحات بقانون وعددها (63) وجلها كانت قيد الدارسة فأصبحت ساقطة بنهاية الفصل التشريعي.

هكذا نصل من خلال استعراض ما تقدم من صلاحيات او اختصاصات رقابية لمجلس النواب كمثال واستعراض لدوره التشريعي في الفصل التشريعي الخامس كمثال إلى أنه رغم أن المذكرة التفسيرية للتعديلات الدستورية لعام 2012 قد اشارت إلى أن هذه التعديلات جاءت في إطار ما انتهت إليه الإرادة الشعبية في حوار التوافق الوطني من مرئيات بشأن التعديلات التي ترى إدخالها على الدستور القائم، ومنها منح دور أكبر لمجلس النواب في الرقابة. غير أنه منذ إقرار مرئيات حوار التوافق الوطني وإصدار هذه التعديلات عام 2012 لم نجد ولم تجد الإرادة الشعبية بانه قد تم منح مجلس النواب دوراً أكبر في الرقابة على أعمال الحكومة، بل وجدنا تراجعاً وتقييداً لهذا الدور، وللأسف أن من ساهم في هذا الانتقاص من هذا الدور الرقابي والتشريعي، هم أعضاء مجلس النواب وفي النظام الداخلي الخاص بالمجلس (اللائحة الداخلية). ولعلكم تتفقون معي أن ذلك يعد من الأسباب إلى أدت إلى تراجع التجربة النيابية وضعف إداء مجلس النواب.

وحتى يكون المجلس النيابي فاعلا مؤثرا في ضمان واستمرارية وتطوير مفاصل العدالة الاجتماعية في الحق في العمل والصحة والتعليم والسكن وفي التامين الاجتماعي ليس فقط لمن مازال يعيش على ارض البحرين الحبيبة بل للأجيال القادمة، بحيث يستطيع هذا أن يحافظ على عدم الانتقاص من هذه الحقوق ويعالج ما نال منها من نواقص وتطويرها نحو وضع معيشي أفضل لابد من رفع القيود التي وضعت على الحقوق السياسية بما فيها الحق في الانتخاب والترشيح لمجلس النواب وإعادة النظر في النظام الانتخابي والدوائر الانتخابية وإلغاء القيود التي وضعت على وسائل الرقابة البرلمانية وعلى الاختصاص التشريعي للبرلمان.

عمّا تبقى من مهنة منقرضة

حكايات من زمن صحفي مضى

قد يطيب للبعض التفرغ في خريف العمر وكتابة مذكراته أو سيرته الذاتية المهنية، أملاً في إسداء الفائدة أوالخبرة للأجيال الجديدة، لكن ماذا إذا تبيّن لك أن المهنة التي خلفتها وراءك لم تعد موجودة، أو أنها انقرضت بشكلها ومفاهيمها القديمة؟

عصمت الموسوي

ستكون المذكرات والسير القديمة مجرد إطلالات تاريخية وتوثيقية لمهن وأعمال من الماضي، على سبيل المثال أين اليوم مهنة كمهنة الصحافي الباحث عن الخبر الجديد والمختلف وغير المسبوق في مهنة تعكس واقع الحياة في السراء والضراء في عالمنا الجديد؟

أقول هذا الكلام ناصحة زملائي الصحفيين من الأجيال الجديدة الخروج من صندوق الرتابة والتشابه والتماثل حدّ التماهي بين صحفنا الورقية والإلكترونية بعد أن صارت أخبار البشر والحجر والوزرات والهيئات تصل من مصدر واحد فقط هو مركز الاتصال الوطني وهو الذي يقوم بتوزيع النشرات الصحفية على جميع الصحف بالتساوي، الأمر الذي أفقد الصحف قدرتها التنافسية وهويتها وشخصيتها وتوجهها الخاص بها وحال دون معرفة الواقع على حقيقته دون رتوش أوتجميل أو اختصار أو اختزال، ولقد أردت اليوم أن اروي للقراء جزءاً يسيراً من رحلة الصحافة مع اقتناص الخبر في صحافة سابقة، صحافة سادت ثم بادت.

في حكاية خبرية وأثناء ما سمي بحرب الناقلات اثناء الحرب العراقية الايرانية عام 1984 برزت إلى السطح قضية تلوث بحر وسواحل الخليج بالإنسكابات النفطيّة الناجمة عن ضرب السفن المحملة بالنفط، تشكلت بقعة نفطيّة كبيرة بلغت بعض سواحل الخليج ومنها البحرين، سميت في الصحافة ببقعة الزيت، وقد تأثر المحصول السمكي بهذه البقعة، رغم أن البحرين ودول خليجية أخرى استخدمت أجهزة خاصة على السواحل لامتصاص الزيت وحماية البئة البحرية من التلوث، إلا أن السمك تأثر بشدة، وكانت الصحافة على اتصال مع الصيادين والأجهزة الرسمية المختصة بعد أن تحوّلت القصة إلى قضية رأي عام فأقيمت عدة مؤتمرات صحفيّة شاركت فيها وفود من إيران والعراق في محاولة لإبعاد البئية البحرين عن الصراع الدائر.

وقتها جهزت وزارة الداخلية رحلة جويّة على متن طائرة الهيلوكبتر خصيصا للصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء لتصوير البقعة من الجو، وقد لعبت الصحيفة الوحيدة وقتها (أخبار الخليج) دوراً مهماً في متابعة هذه الإنسكابات النفطيّة والكتابة عن أخبارها يومياً، وطمأنة الرأي العام حول صحة الاسماك وكيفية معرفة الأسماك الملوثة وتجنبها بالتعاون مع لجنة حماية البيئة، وعكس ذلك نوعاً من التفاعل الخلاق بين الصحيفة وقراءها والأجهزة الرسمية التي كانت وإلى حد كبير مساندة ومتعاونة مع الصحافة.

وفي 23 أغسطس من عام 2000 سقطت طائرة «طيران الخليج» وقضى ركابها ال143 نحبهم، كان الوقت مساء وفي يوم شديد الحرارة، مع ذلك توافد الصحفيون والأهالي لموقع السقوط وتبارت الصحيفتان وقتها، «الأيام» و»أخبار الخليج»، لسرد الحكايات والتواصل مع أهالي الضحايا على مدى عدة أيام، وامتثلت الصحف لتجنب الخوض في أسباب الحادث انتظاراً للنتائج، فصحافتنا لم تخرج يوما عن الطاعة والإمتثال للأوامر الرسمية الفوقية المتعلقة بالأمن والسلامة المجتمعية، رغم ذلك حظيت الصحافة بصيد صحفي وفير وحكايات وتفاصيل عديدة لا نجد لها اليوم مثيلاً في صحافتنا التقليدية.

وفي 23 اغسطس اخر من عام 2004 استيقظت البحرين على الانقطاع الكبير للكهرباء الذي شمل أغلب مناطق البحرين فيما سمي لاحقا ب»الاثنين الأسود»، الذي تسبب في خسائر مادية كبيرة، وكان يوماً غير مسبوق في تاريخ بلدنا، وقد تبارت الصحف الثلاث وقتها، «أخبار الخليج»، «الأيام» و»الوسط» على تغطية الحدث وارتدادته وتداعياته وخسائره، وتحدثت مقالات الرأي عن الإهمال والتقصير لدى جهاز الكهرباء في ذلك الوقت والذي لم يستعد ليوم كهذا، وكانت تجربة قاسية وذات دروس بليغة.

تخيّلوا لو أنّ أحداثاً مماثلة تقع مجددا في بلدنا (لاسمح الله) وتأتي الأوامر إلى الصحافة بالإمتناع عن النشر أوالانتظار والتريث وعدم التصريح من قبل أي وزير او مسؤول لأي جهة أو منصة الكترونية إلى أن يصل خبر مركز الاتصال الوطني، كيف سيكون الحال في ظل سيادة صحافة المواطن حيث يتجول الناس بهواتفهم وكاميراتهم وحواسبهم، يكتبون ويلتقطون الصور والأفلام ويبثونها في الحال على وسائل التواصل الاجتماعي؟، فأمام هذه المنافسة الشديدة ماذا سيفعل الصحفي الموظف الملتزم، وأنى له أن ينتظر وكيف وإلى متى؟

إن الصحافة المؤسسية جدير بها أن تمتلك من الحرية والصلاحيات والثقة ما لا يمتلكه غيرها، فهي ستظل الجهة القادرة على الحصول على التصريحات الرسمية المؤكدة وبسط الحقائق الصحيحة في أسرع وقت والتشارك مع الناس المعنيين بالأحداث لصنع وانتاج القصة الخبرية الموثقة ومنح الناس الحق في توجيه النقد وطرح الأسئلة والحصول على الرد، بيد أن ذلك لا يتحقق على أرض الواقع، فالصحافة التي كان ديدنها الحركة والتفاعل السريع صارت هي التي تجلس بانتظار خبر واحد يتيم يعمم على كل الصحف، وبذلك تكون الصحافة الملتزمة بخط الدولة وتوجهات الحكومة هي الخاسرة في هذه المعركة غير المتكافئة مع الإعلام البديل التعددي والمتنوع. ألم أقل لكم في بداية المقال إنني أتحدث عن مهنة منقرضة، مهنة جرى احتواءها وإخضاعها بالكامل لمنظومة مركزية صارمة، وتسبب هذا الإحتواء في تقويض الصحافة.

من كان يتصور أن صحافتنا التي حققت قفزات نوعيّة في محتواها وتنوعها وتعدد أراءها واجتهاداتها على مدى السنوات الماضية – بما فيها فترة سريان قانون أمن الدولة – تبلغ هذا المستوى الهزيل؟ ومن يعوضنا جميعا عن هذه الخسارة؟.

(قف)

فلسطين قضية لا تموت

قال الكاتب الفلسطيني جمال زقوت: «ماذا نكتب، وعن ماذا نكتب؟ فهذا المشهد، مشهد الدمار والقتل والموت وعدد الضحايا الشهداء منهم والجرحى، عشرين أو مئتين أو ألفين فهم في نظر النفاق الدولي مجرد رقم بات متكررا لمشهد الإيغال في دمنا». وأضاف: «بماذا ندبج مقالاتنا؟ بمشهد قيادة تعيش ملهاة الصراع على مستقبل تعبث به حد الانهيار، ولا تملك من أمرها شيئا كي تحتفظ بكرسيها سوى كلمات باهتة متكررة، ثم تذهب لمتابعة الأخبار بقلق، ليس على المستقبل أو الضحايا، بل على خيبتها وتراجع شعبيتها وفقدان أهليتها.

فهد المضحكي

«هذا المشهد وبتفرعاته الإنسانية المؤلمة هو مشهد متجدد. فقد شهدت غزة منذ انقلاب وانقسام حكامها خمسة حروب عدوانية، وهذه هي الحرب السادسة. فعن ماذا نكتب؟ عن المشهد الإسرائيلي واحزابه المتصارعة على دمنا، لتحصد من أرواحنا أصواتا ومقاعد برلمانية في معركتها الانتخابية، أو مزيد من عطاءات الوحدات الاستيطانية فوق صدورنا، ثم تسميها ديمقراطية واحتها المتفردة التي تتباهى بها في هذه المنطقة، وهي مختنقة بدم أهل وأطفال هذه البلاد. فهذا المشهد أصبح من يوميات حياتنا التي يتسابق فيها المستوطنون «الأكثر تشددا» في قتل أطفالنا واجتثاث زيتوننا وسرقة مياهنا ومحاولة إلغاء وجودنا، مع المستوطن «الأقل تشددا» وهو يسوق بلغة التزييف والتزوير لما يسمى حق إسرائيل أن تقتل أطفالنا، فهذا بالنسبة لهم « دفاع عن النفس»وهي «تحمي أطفالها».

«فالطفل الفلسطيني الذي هجر أجداده من يافا وحيفا واللد والرملة وأسدود والمجدل وغيرها، سيكون يوما فدائيا كما كان المسيح يوما، وتسميه إسرائيل إرهابيًا، ولذا فهو لا يستحق الحياة، بينما الطفل الذي ولد اجداده في دول الغرب وحتى في أثيوبيا، وصادروا من أجل رفاهيته مستقبل أطفال فلسطين، سيكون طيارا حربيا في سلاح جيش إسرائيل الجوي، مكلفا بحماية نقاء هواء يهودية إسرائيل وأجوائها من الفلسطيني.

فهذا المشهد يعيشه مخيم جباليا والشابورة ومعها مخيم جنين وبلاطة، وعين الحلوة وغيرها من مخيمات اللجوء. وقد دون الأدباء والكتاب عن هذه المشاهد روايات وشهادات، وليس فقط مقالات في زمن حكام أمة الضاد، والذين لا يريدون أن يقرأوا عن ذلك شيئا.

إذن عن ماذا نكتب اليوم؟ هل نكتب عن حكام غزة الجدد الذين للأسف يتنافسون مع " أخوتهم الاعداء" من حكام الضفة، أيهما الأكثر "عقلانية" وأحقية بعطاء القدرة على الوكالة الأمنية وحدودها وامتيازها، ودقة الإيفاء بمتطلبات المناقصة؟ أم عن وهم كي الوعي الذي تتوهمه إسرائيل بعد نجاحها في إخراج المهيمنين على "الحكم" وطبقتهما السياسية من " دائرة الصراع"، واستبداله بثمن امتياز الوكالة الأمنية لإدارة " سجن غزة" ونوعية التسهيلات الممنوحة من طعام وشراب وموبايل وعدد الزيارات، أو تلك التي تقدمها لحكام الكانتونات قيد الإنشاء. هذا كله لم يعد يجذب القراء، فقد باتت بالنسبة لهم بضاعة فاسدة وراكدة لا يتداولها أحد. فما الذي يستحق الكتابة والاهتمام؟! الثابت الوحيد هو الصمود، وكيف أن هذا الشعب كلما أغرق في دمه كلما أجبر على جعله زيتا يعينه على استكشاف الطريق، كي ينهض مجددا كطائر العنقاء من تحت رماد الموت، ويحمل بإصبعيه المتبقيين في يده الجريحة علامة النصر رمزية أن قضيته حية ومستمرة في صعودها ولن تموت، وبهذا فإن إسرائيل العنصرية الهاربة من تاريخها الدموي في كفر قاسم ومخيم رفح والسموع وبحر البقر، تهزم نفسها بسلاح موتنا. عقلانية حكام غزة "مفاجئة" والتي

تذكرنا بصمتهم أربعين عاما بعد النكبة، وصمت حكام رام الله الغارقين في سباتهم، لن تكسر ذلك الشاب في غرفة التحقيق، وهو يتقن صمتا مختلفا، متسلحا بإغلاق فمه وإشهار عناده حتى لو سقط شهيدا تحت التعذيب أو القصف الهمجي سيان. فكلاهما يستهدف إرادته وكي وعيه؛ إلا أن قرار الأجيال الجديدة التي تستولد تجربتها الخاصة "لن يمروا". فالحرب لم تستهدف فصيلا بعينه، بقدر ما هي حرب على شعب فلسطين وقضيته ومستقبل وجوده، ولذا فالهزيمة والاستسلام ليس خيارا.

هذا هو المشهد الحقيقي الذي يستحق الكتابة ولا شيء غيره، فهو مخزون ذاكرة الألم والصمود، وحصن القلاع التي لن تنهار. أما السؤال الحقيقي لهذا المشهد، فهو كيف نعيد بناء عناصر القوة التي تخرجنا من جحيم الحروب والاحتلال والانقسام، وتخرج إسرائيل أيضا من عنصريتها وهستيريا الفاشية التي تنمو في جنبات احتلالها، وكيف نمكن شابا ناجيا من دمار غزة أوشابة حالمة بالحياة في القدس والناصرة أن يأخذونا إلى بر الحرية والكرامة والأمان.

بصراحة

العراق الجـريـح

فاضل الحليبي

العراق واحدٌ من أقدم وأعرق الحضارات في العالم، حدثت فيه أحداث كبيرة منذ قرون من السنين ، ولازال ينزف دماً ويتوجع الماً، وكان هذا قدر الشعب العراقي الشقيق. بعد سقوط الدكتاتورية التي جثمت على رقاب الشعب العراقي خمسة وثلاثين عاماً، جاء الاحتلال الأمريكي للعراق في إبريل من عام 2003 ليس ليبنيَ العراق وينشر مبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية والعدالة الاجتماعية كما ادّعى، جاء لتدمير العراق ونهب ثرواته وخيراته وسرقة آثاره وأول قراراته المقررة مسبقاً حل الجيش العراقي وغيرها من القرارات المأساوية، جاء لتحقيق أهدافه الاستراتيجية وتكريس تواجده العسكري والأمني في العراق، ومن أجل تعزيز دور الكيان الصهيوني في المنطقة.

وبعد أن دمّر الدولة العراقية وأجهزتها المتعددة، سلّم العراق للقوى السياسية التي حكمت العراق على مدار تسعة عشر عاماً، بدلاً أن تبنيَ العراق الجديد، واصلت مسيرة الاحتلال الأمريكي في تدميره وتفشي الفساد المالي والإداري بشكل لا مثيل له، كان تسابق تلك القوى السياسية ليس في بناء العراق وتقدمه وتطوره، كان في الحصول على الغنائم والمكاسب وتعزيز نفوذهم في الوزارات والمؤسسات الحكومية للسيطرة والهيمنة ولتحقيق مآربهم الخاصة.

تلك القوى والأحزاب السياسية هي المسؤولة عن معاناة الشعب العراقي وفقره وجوعه وهو الذي كان يمتلك عقولاً علمية وأكاديمية قلّ نظيرها في العالم العربي، الأغلبية الساحقة منها في المهجر، بالإضافة إلى ما لديه من الخيرات والثروات الهائلة (النفطية، الزراعية، الحيوانية، المائية) كل ذلك دُمِّرَ ولم يستفد منها الشعب العراقي، لاوجود لبنية تحتية، بل تدهور واضح في الخدمات (التعليم ، الصحة، الكهرباء) وانقطاع مستمر في الكهرباء، ضعف في كل الخدمات الحكومية.

ولا يعرف الشعب العراقي أين تذهب مليارات الدولارات من عائدات النفط، لهذا انتفض الشعب العراقي في انتفاضة تشرين في عام 2019، مطالباً بتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، تحت شعار "نريد وطن" دفع الشباب العراقي الثمن غالياً، عشرات الشهداء والمفقودين والجرحى، وبالرغم من مضي عام على الانتخابات العراقية في عام 2021، لم تستطع تلك القوى المتصارعة على السلطة من تشكيل الحكومة الجديدة، لهذا دبّ الخلاف فيما بينها وهي اليوم تحشد جماهيرها في الشارع للتظاهرات والاحتجاجات، لتسجيل موقف هنا أو هناك، بعد أن دمرت العراق وسمحت للقوى والدول الأجنبية في التدخل في شؤونه الداخلية وفرض إملاءاتها وأجندتها.

في ظل هذه الأوضاع المتأزمة تعمل القوى الوطنية الديمقراطية العراقية على تجميع صفوفها لتشكل قوى ضاغطة بعيداً عن المحاصصة المذهبية والسياسية، لتعيد العراق إلى مكانه الطبيعي بين البلدان العربية وفي العالم، فالشعب العراقي العظيم الذي قدّم آلاف الشهداء ضد الدكتاتورية وقوى الإرهاب، يستحق حياة حرة وكريمة، وأملُ العراق في قوى التغيير الديمقراطية، هل ينهض من جديد؟

جورج طرابيشي وإشكاليات الديمقراطية في العالم العربي

جلال إبراهيم

في مقاربتِه للديمقراطية في العالم العربي، يصفها جورج طرابيشي– بالإشكالية، لأنها عبارة عن مسألة يكتنف الإجابة عنها صعوبات وتبدو قابلة لأجوبة متعددة، بل ومتناقضة. والإشكالية على عكس المشكلة التي يمكن الإجابة عنها، بعد البحث والتقصي، بطريقة علمية أو برهانية.

في الساحة الثقافية والسياسية العربية، تُعد إشكالية الديمقراطية واحدة من أهم الإشكاليات المطروحة، حيث يراهن العرب عليها في نقلهم من حالة الضعف والتخلف، إلى واقع القوة والتقدم. وهنا ينتقد طرابيشي تحويل الديمقراطية إلى ايديولوجيا خلاصية جديدة "تتم تحويل الديمقراطية في المخيال العربي، بعد فشل الايديولوجيات القومية واليسارية الثورية، إلى كلمة (سمسم) بديلة لفتح مغارة الحداثة المستغلقة».

منطق المعجزة الملازم لكل ايديولوجيا خلاصية، سيدفع طرابيشي إلى صياغة إشكالياته المتعددة حول المسألة الديمقراطية في العالم العربي. أولى هذه الإشكاليات تتمثل في "إشكالية المفتاح والتاج" التي يمكن توضيحها بطرح السؤال التالي: هل الديمقراطية هي المفتاح السحري الذي نفتح بهِ جميع الأبواب المقفلة، أم أن الديمقراطية هي التاج الذي يتوِّج التطور العضوي للمجتمع المعني وينهض مقياساً على تطوره؟

يشدد طرابيشي على أن الديمقراطية هي بذرة برسم الزرع، لا ثمرة يانعة برسم القطف. فحتى تنمو الديمقراطية تحتاج إلى عمل وشغل في النفس وفي تربة المجتمع. والجهد يكون مُضاعفاً عندما يتم استزراع بذرة الديمقراطية بالمثاقفة. وهو على النقيض تماماً بما تقترفه الايديولوجيا الخلاصية عندما تجعل من الديمقراطية ثمرة يانعة برسم القطف، لا تقتضي جهداً.

ومن أهم الإشكاليات التي طرحها طرابيشي حول مسألة الديمقراطية في الوطن العربي، إشكالية "مفتاح المفتاح" فقبل أن تكون الديمقراطية مفتاحاً لجميع الأبواب الأخرى، فإنها هي نفسها بحاجة إلى مفتاح. هذا التأكيد على مشروطية الديمقراطية لا يلغي دورها الفاعل كشرط من شروط الإقلاع، ولكنه يلغي توظيفها كمفتاح سحري لتحقيق معجزة النقلة الفجائية من واقع التأخر إلى مثال التقدم.

يعترض طرابيشي على اختزال المأزق الديمقراطي في العالم العربي في حاصل القطيعة بين الدولة والشعب، وانفراد الدولة بتقرير مصائر الشعب. وفي تشخيصهِ للمجتمع المدني العربي، الذي يرى طرابيشي أن نُسمية (بالمجتمع الأهلي العربي) أنه يعاني من مرضين خطيرين يُعيقان إقامة ديمقراطية حقيقية، هما: الفئوية الطائفية واللوبوية الدينية. الأولى تؤدي إلى خلل خطير في تطبيق مبدأ التمثيل الديمقراطي، وإلى خلل أشد خطورة في اشتغال جدلية الأكثرية والأقلية. بينما الثانية تعمل على إعادة تديين مظاهر الحياة العامة والخاصة وفق أجندتها القائمة على التعصب والعنف. لذلك تصطدم هذه اللوبيات الدينية بمنظومة القيم الديمقراطية، وعلى رأسها حرية الفكر والاعتقاد.

الإشكالية الأخيرة التي يطرحها طرابيشي تتمثل في إشكالية "صندوق الاقتراع وصندوق جمجمة الرأس". ففي مجتمع لم يُنجز تحديثه المادي والفكري ولم يستكمل ثورته التعليمية، فالديمقراطية لا يمكن أن تكون نظاماً للحكم بدون أن تكون نظاماً للمجتمع. ومع أنها–الديمقراطية–بالتعريف نظام للدولة، فإنها بالجوهر نظام للمجتمع المدني. من هذا كلهِ نخلص إلى أن الديمقراطية هي ثقافة ومنظومة قيم متضامنة. وأن أهمية الديمقراطية ليس في صناديق الاقتراع وحدها، بل كذلك، في السلوك والعقل والوجدان. لأن الديمقراطية هي بالأساس ظاهرة مجتمعية، والمجتمع هو في المقام الأول نسيج من العقليات.

عاملة المناجم التي أصبحت نائبة للرئيس

اليسار يفوز في انتخابات كولومبيا

كانت نتائج الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٢٢ في كولومبيا استثنائية لأسباب متعددة. فقد أصبح المقاتل السابق في حرب العصابات جوستافو بيترو أول رئيس يساري على الإطلاق في البلاد، كما أن المرأة التي خاضت معه الانتخابات لتتولى منصب نائب هي ايضاً شخصية غير اعتيادية.

في 7 أغسطس/ آب غدت فرانسيا ماركيز التي اصبحت أماً في سن مراهقة وعملت خادمة وعاملة مناجم في منجم للذهب أول نائب أسود لرئيس كولومبيا. تتمتع ماركيز البالغة من العمر 40 عامًا بسيرة شخصية مميزة للغاية مقارنة بجميع أسلافها. فهي لا تنتمي إلى المؤسسة السياسية والاجتماعية الكولومبية المتنفذة. ورغم أن كولومبيا بلد متنوع للغاية إلا أن مؤسساتها كانت تقليديًا في أيدي رجال ينتمون إلى النخبة الحضرية والأثرياء البيض. لكن نائبة الرئيس الجديدة لا تعنيها كثيراً القيمة الرمزية لوصول امرأة سوداء إلى قمة هرم السلطة لأول مرة.

الفقر والإقصاء

وقالت لبي بي سي في مقابلة معها في 23 يونيو / حزيران: «لست هنا لأظهر كوجه أسود، أو لأظهر نفسي كامرأة، أو لمجرد إظهار أننا حكومة شاملة لا تقصي احداً».

ولدت ماركيز في قرية يولومبورية التي تبعد عن العاصمة بوغوتا أكثر مما توحي به الرحلة التي تبلغ مسافتها 437 كم. وتقع القرية في ولاية كاوكا التي تعتبر واحدة من أفقر المناطق الريفية في البلاد.

كما تأثرت ولاية كاوكا بشدة بالنزاع المسلح في كولومبيا بين الحكومة والجماعات شبه العسكرية والمسلحين المتمردين الذي استمر لما يقرب من 65 عامًا.

قالت «مجتمعي على سبيل المثال هو اوضح مثال عن التهميش التاريخي، لا توجد مياه صالحة للشرب ، ولا توجد مرافق صرف صحي أساسية ولا كهرباء».

الأمومة والتعدين والنشاط

كانت ماركيز واحدة من 12 طفلاً لأبويها ، وكانت تكسب لقمة العيش في سنواتها الأولى من خلال العمل مع والديها في استخراج الذهب على ضفاف نهر أوفيجاس. في سن السادسة عشرة ، أصبحت أماً عزباء وبدأت العمل كخادمة منازل من أجل إعالة ابنها الأكبر كارلوس ودفع تكاليف دراستها الجامعية في الهندسة الزراعية. كما حصلت على إجازة في القانون منذ عامين.

وجدت ماركيز أيضاً الوقت الكافي للانخراط في الدفاع عن البيئة بدءاً بالاحتجاجات ضد خطط إقامة سد على نهر أوفيجاس لتوليد الكهرباء في تسعينيات القرن الماضي. كانت واحدة من الذين قادوا حملة شعبية أدت في النهاية إلى وقف المشروع من قبل المحكمة العليا في كولومبيا.

وأخذت في وقت لاحق زمام المبادرة في المقاومة ضد مبادرات الحكومة الفيدرالية لمنح حقوق التعدين للشركات متعددة الجنسيات وطرد المزارعين الكولومبيين المنحدرين من أصل أفريقي من الأراضي التي كانت ستمنح لهذه الشركات.

ذاعت شهرة ماركيز على مستوى البلاد في عام 2014 من خلال قيادة عشرات النساء في مسيرة طولها 350 كيلومتراً إلى العاصمة بوغوتا لمناشدة الرئيس خوان مانويل سانتوس باتخاذ إجراءات ضد الآثار الاجتماعية والبيئية للتعدين غير القانوني في كاوكا.

شاركت ماركيز أيضاً في مفاوضات السلام بين الحكومة الفيدرالية ومجموعة فارك اليسارية المسلحة الرئيسية في كولومبيا. وقالت خلال المحادثات إن الكولومبيين المنحدرين من أصل أفريقي قد تأثروا بشكل غير متناسب بعقود من الصراع المسلح.

وقالت في مقابلة في 23 يونيو / حزيران: "البيانات الواردة من دائرة الإحصاءات الوطنية تقول إن النساء السوداوات يعشن في المتوسط أقل بخمس سنوات من بقية النساء في كولومبيا. أعتقد أن هذا دليل على انتشار العنصرية في بنية المجتمع وآثارها".

تهديدات بالقتل

في عام 2018 حصلت ماركيز على جائزة غولدمان البيئية المعروفة بشكل غير رسمي باسم «جائزة نوبل الخضراء». لكن الاطلاع بدور بارز على الصعيد السياسي الوطني يعني أيضا أن نائبة الرئيس المقبلة ستتلقى قريباً تهديدات بالقتل في بلد يشتهر بقتل نشطاء حقوق الإنسان.

في عام 2021 وحده قُتل 138 منهم في كولومبيا وفقاً لمنظمة فرونت لاين ديفندرز غير الحكومية وهذا العدد يمثل ثلث جميع عمليات القتل المسجلة في جميع أنحاء العالم في ذلك العام. كانت ماركيز قد نجت بأعجوبة في عام 2019 عندما اقتحم مسلحون اجتماعا كانت تشارك فيه في مدينة سانتاندير دي كويليتشاو في كاوكا، وبدلاً من أن تنكفأ وتتوقف عن العمل بسبب ذلك الحادث أصبحت أكثر عزماً على النضال من أجل العدالة. أعلنت ترشحها للرئاسة في أبريل/ نيسان 2021 واكتسبت حملتها زخماً كافياً لتحل في المركز الثاني في الانتخابات التمهيدية لتحالف «ميثاق التاريخ» الذي يضم الأحزاب اليسارية.

كان الفائز الاول هو المقاتل السابق في صفوف فارك جوستافو بيترو الذي دعا ماركيز فوراً للترشح إلى جانبه لمنصب نائب الرئيس. وقالت ماركيز «الرسالة التي أحملها أنا وجوستافو بترو هي الدعوة إلى توافق وطني كبير يضع أسساً متينة لأولوية السير قدماً في السلام والمصالحة والعدالة الاجتماعية».

التحدي الذي ينتظر كليهما الآن هو الوفاء بالوعود المقطوعة للكولومبيين المحرومين والمهمشين الذين وصفتهم ماركيز في خطابات حملتها بالاشخاص الذين لا وجود لهم في الحياة الاجتماعية في البلاد.

بالنسبة للعديد من المراقبين فإن تحقيق هذه التعهدات يمثل مهمة صعبة اشبه برحلة وصول ماركيز إلى منصب نائبة الرئيس. وقالت: "أعتقد أنني كنت شديدة الوضوح مع هذا البلد ومع الشعب وابناء شعبي ... لن نغير خمس مائة عام من التجاهل في غضون أربع سنوات". "علينا أن نستعد كدولة للسير قدماً في هذا السبيل بقدر ما نستطيع" وقلة من الناس يشكون في افتقار ماركيز للطاقة المطلوبة لخوض هذا الكفاح.

الشخصية والنهضة

الكتابة هي نقش على ذاكرة التاريخ. محاورة البحر والماء والتراب والسماء. محاورةٌ لا تنتهي فهي علاقة عشق سرمدية، فالكاتب هو عاشق أبدي للأرض وللوطن وللناس وللحياة. فإذا سألت كاتبًا ما هي أولوياته، لقال لك ربما الكتابة قبل الخبز. فالكتابة تنفس، صلاة.

جعفر محمد علي

عندما يحاول الإنسان تأمل المفاهيم المهمة في هذه الحياة، يجد أنها ترتبط كثيراً بالشخصية، أي بمكانتها وأهدافها. هذه الشخصية التي ينشأ معها الإنسان، بمراحلها وصورها المختلفة، من التربية العائلية والبيئة الاجتماعية، التي لها تأثير كبير في خلق شخصيته، وعندما تكون هذه البيئة على عناية واهتمام بالشخصية، أي بمكانتها ووجودها، فإنَّ الفرد حينها، ينشأ على مستوى كبير من النضج والثقة. ونستطيع تعريف هذا الاهتمام من خلال القيم الايجابية والتربية الحديثة، التي تتلخّص في الأفكار الراقية والهادفة، التي تعينه على طريق المستقبل.

إننا في هذه الحياة، ومع زيادة التمدُّن والتنوير والثقافة، ندرك بشكل كبير جداً مكانة الشخصية، في بناء وتقدُّم المجتمعات. ونحن في مجتمعنا الحاضر، الذي يسير في خطواته الأولى نحو النهضة، يحتاج إلى الكثير من المعاني والأفكار التي تعينه على هذه الخطوات، وما يترتب عليها من مسؤوليات، تجاه الحياة العصرية والأجيال القادمة.

إنَّ التقدُّم الذي تزدهر به المجتمعات الحديثة اليوم، إنما هو نتاجٌ لأفكارٍ هادفة، أطلقها الناهضون بمجتمعاتهم نحوَ الأفضل، أي نحو الخير العام، الذي يرتقي بالحياة والإنسان. ومن خلال هذه المقالة، سنقوم بالإضاءة على شخصيات نهضوية، ساهمت بوجودها في الارتقاء الاجتماعي، وهما السيد (أوليفر وندل هولمز)، الأب والإبن. نقرأ على مدوّنة (ويكيبيديا) سيرة هولمز الأب، فهو الطبيب والكاتب، الذي رفض المفاهيم والموروثات الجامدة، في البيئة العائلية والحياة الاجتماعية، فكافح ذالك بتبنّي الحياة المتمدّنة العصرية، التي ترتقي بمكانة الفرد والإنسان. وهنالك اقتباسٌ على صفحات المواقع المهتمة بالكلمات الهادفة (ولسنا متأكدين من قائلها، لتشابه الإسم بين هولمز الأب والإبن) ولكننا واثقين من جوهرها، فيقول السيد هولمز الأب، هذا الاقتباس التالي: "علامة الإنسان المتمدّن، أنْ يشك في مُسلَّماته الأولية».

ونستلهم من هذه المقولة، مكانة التفكير لدى شخصية النهضة، أي في العقل العصري، الذي يرتقي عن الموروثات والتقاليد بالنقد والتحليل. أعتقد أنَّ الثقافة العصرية اليوم، تدرك مكانة

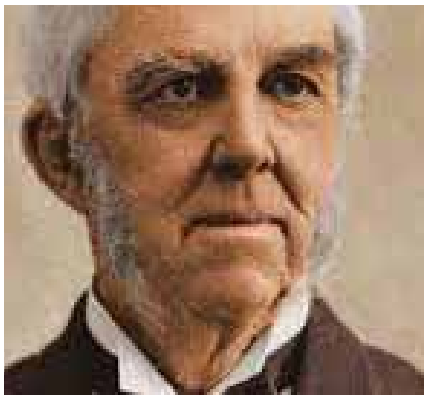

أوليفر وندل هولمز

النقد في التطوّر والنهضة، فالأمم والمجتمعات تنهض بالوعي والمسؤولية، بل تنهض بتبنّي المصلحة العامّة التي ترتقي بالمجتمع والحياة. ومن خلال كلمات هذا الطبيب والحكيم، نتعرّف على الجرأة والبصيرة في أفكاره، التي نسترشد بها في مسيرة التقدُّم. ولأننا في هذا المجتمع، البحريني خصوصاً والعربيّ عموماً، بحاجة كبيرة لمفاهيم الحضارة الانسانية، ولتبنّي القيم العصرية على المفاهيم التقليدية، التي يتـمُّ تقديسها بواسطة الجهل والتقاليد، علينا الوقوف عندما يقوله هولمز الأب، عن دور هذه الموروثات في التخلُّف، التي تصطدم بها المجتمعات في خطوات نهضتها الأولى، والتي نقرأها من خلال الكلمات التالية: "نوصم جميعاً في مهودنا، بمعتقدات القبيلة التي ولدنا فيها». وهذه المقولة المليئة بالحكمة، توضّح لنا النظرة لفلسفة النهضة، فهو يرى أنَّ الإنسان في كل المجتمعات والأقطار يصطدم بموروثات الجماعة والبيئة التي ينشأ فيها، التي تميل غالباً إلى التقاليد ومكافحة التطوّر. ولأننا في مراحل النمو الأولى للنهضة، أعتقد أننا نواجه مثل هذه التحدّيات، التي يدركها الفرد النهضوي الهادف، فيسعى لعلاجها بقيم الوعي والتنوير.

لقد تكررت في سطور هذا المقال كلمة التمدُّن، ومن المسؤولية أنْ أتوقف من أجل تعريفها، فإنني أعتقد أنَّ معناها هو: الحياة الأكثر تنظيماً وتقديراً للإنسان؛ أي تلك الحياة العصرية الراقية، المعنيّة بمكانة الفرد، شخصيته وحياته. ولذالك أراها غايةً وهدفاً، تعكس معنى الحضارة، التي يبنيها الأفراد بالتعاون والخير العام، فيكون بذالك، المجتمع الإنساني

سلامة موسى

المنشود.

إنَّ طريق النهضة هو النور الذي نرى به المستقبل. طريقٌ مُشيَّدٌ بكل ما أنتجته الحضارة البشرية من علوم ومعارف، تلك التي تساهم بإرتقاء مبدأ الحياة، ذالك الذي نحيا من أجله جميعاً. وقد قرأنا في أحد فصول كتاب سلامة موسى، الذي عنونه بإسم: محاولات، ما يساهم بتأكيد فكرة النهضة وشخصيتها، لذالك نصل الآن إلى شخصية (أوليفر هولمز) الإبن، قاضي المحكمة العليا في الولايات المتحدة، وعن سيرة حياته المليئة بالخير والحكمة. إنَّ شخصية النهضة تتمثل في الرؤية والبصيرة، بل في شخصية الوجدان الانساني، الذي يتبنَّى المعاني الكبيرة في الحياة، عبر الاسهام في الخير العام، من خلال الفلسفة النبيلة التي ترتقي بمكانة القيم البشرية. هذه الفلسفة التي أفهمها في معاني: الخير والعدل والحب. فهذه القيم السامية، هي اللوحة الأجمل التي يصوغ بها الإنسان حياته.

ونقتبس هنا، مما كتبه سلامة موسى، في مقاله الرائع، هذه الكلمات التالية: "من أجمل الكلمات الخالدة التي فاه بها هولمز، أحد القضاة في المحكمة العليا في الولايات المتحدة، قوله: الحياة صورة نرسمها، وليست أرقاماً نجمعها". نعم، إنَّ هذه الكلمة الابداعية، توضح لنا شخصية النهضة ومكانتها، في تشييد وصياغة المستقبل. فإنَّ الفكر المخلص للحياة، ما هو إلاَّ انعكاسٌ إلى شخصية العقل الراقي والفنَّان، الذي ينشد دائماً النهوض والارتقاء.

في الحياة الشخصية لهولمز، نستطيع أن نرى معنى الحياة الهانئة والسعيدة التي تحياها الشخصية الراقية، فقد عاش حياةً مديدةً من الحب والرفقة، مع زوجته العزيزة، والتي استمرت 56 سنة. ومن اللباقة والشرف أن نكتب إسم هذه المرأة والإنسانة، وهي السيدة (فاني بوديتش).. فلها منا كل التقدير والاحترام.

إنَّ تأصيل شخصية النهضة في حياتنا، يجعلنا نشعر بالمكانة والرضا في وجودنا الحاضر، وبالتأكيد ستمنحنا الثقة في المستقبل، التي تتأصل فيه قيم الخير والارتقاء، أي بكل ما يساهم بخير الحياة والطبيعة والإنسان. وعندما نضيئ على الطبيعة، أي البيئة والأرض، فلأنَّ لها منا، نحن البشر، حقاً كبيراً جداً، في رعايتها وحمايتها من مفاهيم التدمير والفناء، التي يحاول الغباء والأنانية تجاهلها والهروب من مسؤولياتها. فإنَّ كلمة النهضة هي تجسيدٌ للمشروع الشامل، الذي يكافح كل السلبيات المسيئة، إلى المصلحة العامّة والمصلحة الانسانية. وعندما نقرأ ما كتبه سلامة موسى، عن السيد هولمز الإبن، نستلهم الكثير من سيرة حياته الحافلة، والتي يضيئ عليها من خلال الكلمات التالية: "ولكنه عرف ما هو أحسن من المجد ومن السعادة، وهو الخدمة؛ فإنه قضى عمره كله، وهو يخدم ويؤدي عمل الرجل الصالح، وهو أنْ ينتج للعالم أكثر مما يستهلك».

ويختم سلامة مقالته، بهذه الخلاصة: «ولأنَّ الحياة ليست أرقاماً نجمعها، وإنما هي صورةٌ نرسمها، بحيث نعرف قيمتها، بما تحوي من ملامح جميلة جليلة، وألوان زاهية نضرة، وبما أنتجته لنا من تربية وتثقيف، تمتلئ منهما عقولنا نوراً وبصيرة".

إنَّ شخصية النهضة ليست مرتبطة بالرجل وحده، بل بالمرأة أيضاً. وفي التاريخ، خاصة الحديث منه، من الشخصيّات النسائية البارزة، ما يؤكد حضور المرأة وجدارتها، ومساهمتها الايجابية، بل الاستثنائية، في مجالات الحياة المختلفة. إنَّ الحاضر اليوم، يثبت دور المرأة في التقدُّم والحضارة، ولكننا نطمح بالخطوات العظيمة، في الارتقاء عن المفاهيم الذكورية، البعيدة عن الإنصاف والعدالة، التي لا زالت مترسّبة في ثقافتنا الاجتماعية، من خلال الجمود الفكري والتقاليد السيئة، التي يرتقي عنها ويكافحها المنتمون إلى التقدُّم والحياة.

لماذا الإشتراكية؟

ترجمة:
غريب عوض

ألبرت أينشتاين هو عالم الفيزياء الشهير. تمّ نشر هذا المقال لأول مرة في أول عدد لمجلة Monthly Review (مايو 1949). وتم نشره لاحقاً في آيار/ مايو 1998 للأحتفال بالعدد الأول من مجلة Monthly Review للسنة الخامسة.

هيئة التحرير

هل من المُستحسن لمن ليس هو خبيراً في القضايا الإقتصادية والإجتماعية أن يُعبّر عن وجهة نظره حول موضوع الإشتراكية؟ أنا أعتقد ذلك لعدد من الأسباب.

دعونا أولاً ننظر في الموضوع من وجهة نظر المعرفة العلمية. قد يبدو أنهُ لا توجد اختلافات منهجية أساسية بين علم الفلك والإقتصاد: يحاول العُلماء في كلا الحقلين اكتشاف قوانين القبول العام لمجموعة محدودة من الظواهر من أجل جعل الترابط بين هذه الظواهر مفهوماً بوضوح قدر الإمكان. ولكن في الواقع، توجد مثل هذه الإختلافات المنهجية. يصعب اكتشاف القوانين العامة في مجال الاقتصاد بسبب الظروف التي غالباً ما تتأثر الظواهر الاقتصادية الملحوظة بالعديد من العوامل التي يصعب تقييمها بشكل مُنفصل.

بالإضافة إلى ذلك، فإن التجربة التي تراكمت مُنذُ بداية ما يُسمى بالفترة الحضارية للتاريخ البشري – كما هو معروف – قد تأثرت إلى حد كبير ومحدودة لأسباب ليست بأي حال من الأحوال اقتصادية بطبيعتها. على سبيل المثال، مُعظم الدول الكُبرى في التاريخ تُدينُ بوجودها وبقاؤها على الحياة لعمليات الغزو. أثبتت الشعوب المُحتلة وجودها، شرعياً واقتصادياً، كطبقة مُتميّزة للبلد المُحتل. لقد استولوا لأنفُسهم على مُلكية الأرض وعينوا كهنوتاً من بين صفوفهم. الكهنة، الذين يسيطرون على التعليم، حوّلوا التقسيم الطبقي للمجتمع إلى مؤسسة دائمة وأنشأوا نظاماً للقيم يتم توجيه الناس في سلوكهم الإجتماعي نحوه، إلى حد كبير، دون أن يشعروا.

لكن التقاليد التاريخية هي، إذا جاز التعبير، من الأمس؛ لم نتغلب حقاً في أي مكان على ما أطلق عليه Thorstein Veblen "المرحلة المُفترسة" للتطور البشري. تنتمي الحقائق الإقتصادية الملحوظة إلى تلك المرحلة وحتى القوانين التي يمكننا اشتقاقها منها لا تنطبق على المراحل الأُخرى. وبما أن الهدف الحقيقي للإشتراكية هو تحديداً التغلُب على المرحلة المُفترسة للتطور البشري وتجاوزها، فبإمكان علم الاقتصاد في حالته الراهنة أن يُلقي قليل من الضوء على المجتمع الإشتراكي في المستقبل.

ثانياً، الإشتراكية مُوجهة نحو غاية اجتماعية – أخلاقية ومع ذلك، لا يمكن للعلم أن يخلق غايات، ولا يمكنهُ حتى أن يغرسها في البشر؛ يمكن للعلم، على الأكثر، توفير الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق غايات مُعيّنة. لكن الغايات نفسها يتم تصوّرها من قِبَل شخصيات ذات مُثُل أخلاقية سامية، وإذا لم تكُن هذه الغايات مولودة ميتة، ولكنها حيوية وقوية – يتمُ تبنيها ونقلها إلى الأمام من قِبَل هؤلاء البشر الذين، نُصفُهُم، دون وعي، يُحددون التطور البطيء للمجتمع.

لهذه الأسباب، يجب أن نكون حريصين على عدم المبالغة في تقدير العلم والأساليب العلمية عندما يتعلق الأمر بمشاكل بشرية؛ ولا ينبغي أن نفترض أن الخُبراء هُم الوحيدون الذين لهم الحق في التعبير عن أنفُسهم في القضايا التي تؤثر على تنظيم المجتمع.

هناك أصوات لا حصر لها تؤكد مُنذُ بعض الوقت أن المجتمع البشري يَمرُ بأزمة، وأن استقراره قد توقف بشكل خطير. من سِمات مثل هذا الموقف أن يشعر الأفراد بعدم المُبالاة تجاه وحتى مُعادة المجموعة، الصغيرة أوالكبيرة، التي ينتمون إليها، لتوضيح مقصدي، أسمحوا لي أن أسجل هنا تجربة شخصية. لقد ناقشت مؤخراً مع رجل ذكي وحسن التصرف خطر حرب أُخرى، والتي في رأيي ستُهدد وجود البشرية بشكل خطير، وقلتُ أن منظمة فوق وطنية فقط هي التي ستوفر الحماية من ذلك الخطر. عندئذ قال لي الرجل بهدوء وبرود شديد: «لماذا أنت تُعارض بشدة اختفاء الجنس البشري؟»

أنا مُتأكد من أنهُ قبل قرن من الزمان لم يكن أحداً قد أدلى بتصريح من هذا النوع باستخفاف. إنهُ تصريح لرجل سعى عبثاً لتحقيق توازن داخل نفسه وفقد الأمل في النجاح إلى حد ما. إنهُ تعبير عن العزلة المؤلمة والعزلة التي يُعاني منها الكثير من الناس في هذِ الأيام. ما هو السبب؟ هل يوجد طريق للخروج منها؟

من السهل طرح مثل هذه الأسئلة، لكن من الصعب الإجابة عليها بأي درجة من التأكيد. ومع ذلك، يجب أن أُحاول قدر المستطاع، على الرغم من أنني مُدرك تماماً لحقيقة أن مشاعرنا وجهودنا غالباً ما تكون مُتناقضة وغامضة ولا يمكن التعبير عنها بصيغ سهلة وبسيطة.

الإنسان، كائن انفرادي وكائن اجتماعي في الوقت نفسه. وبصفتهِ كائناً إنفرادي، يحاول حماية وجوده ووجود أقرب الأشخاص إليه، وإشباع رغباته الشخصية، وتنمية قدراته الفطرية. وبصفتهِ كائناً إجتماعياً، يسعى إلى اكتساب التقدير والمودة من قِبَل إخوانه من البشر، ومشاركتهم في ملذاتهم، ومواساتهم في أحزانهم، وتحسين ظروف حياتهم. إن وجود هذه الجهود المتنوعة والمُتضاربة في كثير من الأحيان هو الذي يُفسر الطابع الخاص للإنسان، ومزيجها المُحدَدْ يُحدد إلى أي مدى يمكن للفرد أن يُحقق التوازن الداخلي ويمكن أن يساهم في رفاهية المجتمع. من الممكن تماماً أن تكون القوة النسبية لهذين المُحركين، في الأساس ثابتة بالوراثة. لكن الشخصية التي تظهر في النهاية تتشكل إلى حد كبير من البيئة التي يُصادف أن يجد فيها الإنسان نفسه أثناء تطورهِ، وبُنية المجتمع الذي نشأ فيه، وبتقليد ذلك المجتمع، وبتقييمه لأنواع مُعيّنة من السلوك.

يعني المفهوم المُجرد "المجتمع" للإنسان الفرد مجموع علاقاته المُباشرة وغير المُباشرة مع مُعاصريه وجميع أفراد الأجيال السابقة. والفرد قادرٌ على التفكير والشعور والسعي والعمل بمفرده؛ لكنهُ يعتمد كثيراً على المجتمع – في وجوده الجسدي والذهني والعاطفي – ومن المستحيل التفكير فيه أو فهمه خارج إطار المجتمع . إنهُ "المجتمع" الذي يُزود الإنسان بالمأكل والملبس والمسكن وأدوات العمل واللُغة وأشكال الفكر ومعظم محتوى الفكر. وأصبحت حياته مُمكنة من خلال عمل إنجازات الملايين العديدة الماضية والحاضرة المُختبئين خلف الكلمة الصغير "المجتمع".

من الواضح، إذن، أن اعتماد الفرد على المجتمع هو حقيقة طبيعية لا يمكن إلغاؤها–تماماً كما في حالة النمل والنحل. غير أن عملية الحياة الكاملة للنمل والنحل يتم تحديدها بأدق التفاصيل من خلال الغرائز الوراثية، فإن النمط الاجتماعي والعلاقات المتبادلة بين البشر مُتغيّرة للغاية وقابلة للتغيير. الذاكرة، القدرة على تكوين مجموعات جديدة، موهبة الإتصال الشفوي جعلت تطورات محتملة بين البشر لا تُمليها الضرورات البيولوجية. وتتجلى هذه التطورات في التقاليد والمؤسسات والمنظمات؛ وفي الأدب في الإنجازات العلمية والهندسية؛ في الأعمال الفنية. وهذا يُفسّر كيف يحدث أنهُ، بمعنى ما، يمكن للإنسان أن يؤثر على حياته من خلال سلوكه الخاص، وأنهُ في هذه العملية، يمكن أن يلعب التفكير والرغبة الواعيان دوراً.

بقلم : ألبرت أينشتاين
Albert Einstein

يكتسب الإنسان عند الولادة، من خلال الوراثة، دستوراً بيولوجياً يجب أن نعتبره ثابتاً وغير قابل للتغيير، بما في ذلك الدوافع الطبيعية التي تُميّز الجنس البشري. بالإضافة إلى ذلك، خلال حياته، يكتسب دستوراً ثقافياً يتبناه من المجتمع من خلال التواصل وعَبر العديد من أنواع التأثيرات الأُخرى. وهذا الدستور الثقافي هو الذي يخضع للتغيير بمرور الزمن والذي يُحدد إلى حد كبير العلاقة بين الفرد والمجتمع. علمتنا الأنثروبولوجيا الحديثة، من خلال التحقيق المُقارن لما يُسمى بالثقافات البدائية، أن السلوك الإجتماعي للبشر قد يختلف اختلافاً كبيراً، إعتماداً على الأنماط الثقافية السائدة وأنواع التنظيمات السائدة في المجتمع. وعلى هذا الأساس، يمكن لأؤلئك الذين يسعون جاهدين لتحسين مصير الإنسان أن يؤسسوا آمالهم: لا يُدان البشر بسبب تكوينهم البيولوجي، أو إبادة بعضهم البعض أو أن يكونوا تحت رحمة مصير قاسٍ من صنع أنفُسهم.

إذا سألنا أنفُسنا كيف يجب تغيير بُنية المجتمع والموقف الثقاقي للإنسان من أجل جعل الحياة البشرية مُرضية قدر الإمكان، يجب أن نُدرك باستمرار حقيقة أن هناك ظروفاً مُعيّنة لا يمكننا تعديلها. وكما ذكرنا من قبل، فإن الطبيعة البيولوجية للإنسان ، لجميع الأغراض العملية، ليست عرضة للتغيير. علاوة على ذلك، أدت التطورات التكنولوجية والديموغرافية في القرون القليلة الماضية إلى خلق ظروف باقية. في المجتمعات السكانية ذات الكثافة السكانية العالية نسبياً مع السلع التي لا غنى عنها لإستمرار وجودها، فإن التقسيم الشديد للعمل وجهاز الإنتاج شديد المركزية ضروريان للغاية. والزمن – الذي يبدو شاعرياً للغاية – إذا نظرنا إلى الوراء – لن يعود أبداً، حينما يكون الأفراد أو المجموعات الصغير نسبياً لديها إكتفاء ذاتي كامل. ليس من المُبالغة إلا قليلاً القول إن الجنس البشري يُشكل حتى الآن مجتمعاً كوكبياً للإنتاج والإستهلاك.

لقد وصلتُ الآن إلى النقطة التي يمكنني أن أُوضح فيها بإيجاز ما يُشكل جوهر أزمة عصرُنا. يتعلق الأمر بعلاقة الفرد بالمجتمع . لقد أصبح الفرد أكثر وعياً من أي وقت مضى لإعتماده على المجتمع. لكنهُ لا يختبر هذا الإعتماد كذخيرة إيجابية، أو رابطة عضوية، أو كقوة حماية، بل يعتبره كتهديد لحقوقه الطبيعية، أو حتى لوجوده الإقتصادي. علاوة على ذلك، إن وضعه في المجتمع أصبح من هذا القبيل لدرجة أن الدوافع الأنانية لتكوينه تتزايد بإستمرار، في حين أن دوافعه الإجتماعية، التي هي بطبيعتها أضعف، تتدهور تدريجياً. وكل البشر، مهما كان موقعهم في المجتمع، يعانون من عملية التدهور هذه. إنهم سُجناء أنانيتهم عن غير قصد، فهم يشعرون بعدم الأمان وبالوحدة والحرمان من التمتع بالحياة الساذجة والبسيطة غير المتطورة. يستطيع الإنسان أن يجد معنى في الحياة قصيرة وخطيرة كما هي عليه، فقط من خلال تكريس نفسه للمجتمع .

إن الفوضى الإقتصادية للمجتمع الرأسمالي كما هي عليه اليوم هي، في رأيي، المصدر الحقيقي للشر. نرى أمامنا مجتمعاً ضخماً من المُنتجين ، يسعى أعضاؤه بلا توقف لحرمان بعضهم البعض من ثمار عملهم الجماعي – ليس بالقوة، بل بالإمتثال الصادق للقواعد المُقررة قانوناً. في هذا الصدد، من المهم أن نُدرك أن وسائل الإنتاج – أي القدرة الإنتاجية الكاملة اللازمة لإنتاج السلع الإستهلاكية وكذلك السلع الرأسمالية الإضافية – قد تكون، من الناحية القانونية، في معظمها، مُلكية خاصة للأفراد .

من أجل التبسيط، في المُناقشة التالية سأُسمي «العمال» كلُ أُولئك الذين لا يُشاركون في مُلكية وسائل الإنتاج – على الرغم من أن هذا لا يتوافق تماماً مع الإستخدام المألوف للمصطلح. إن مالك وسائل الإنتاج في وضع يسمح لهُ بشراء قوة عمل العامل. وبإستخدام وسائل الإنتاج، ينتج العامل سلعاً جديدة تُصبح مُلكاً للرأسمالي. النقطة الأساسية في هذه العملية هي العلاقة بين ما ينتجهُ العامل وما يُدفع لهُ من أجر، وكلاهُما يُقاس من حيثُ القيمة الحقيقية. وبقدر ما يكون عقد العمل "مجاناً"، فإن ما يحصل عليه العامل لا يتحدد بالقيمة الحقيقية للبضائع التي ينتجها، بل بالحد الأدنى من احتياجاته ومُتطلبات الرأسماليين لقوة العمل فيما يتعلق بعدد العُمال المُتنافسين على الوظائف. من المهم أن نفهم أنهُ حتى من الناحية النظرية لا يتم تحديد أجر العامل بقيمة ما ينتجهُ .

يميل رأس المال الخاص إلى أن يُصبح مُركّزاً في أيدي قلة، ويرجع ذلك جزئياً إلى المُنافسة بين الرأسماليين، وجزئياً لأن التطور التكنولوجي والتقسيم المُتزايد للعمل يشجعان على تكوين وحدات إنتاج كبيرة على حساب الوحدات الأصغر. ونتيجة لهذه التطورات هي حُكم الأقلية لرأس المال الخاص التي لا يمكن لحجم قوتها الهائلة بشكل فعال حتى من قبل مجتمع سياسي مُنظم ديمقراطياً. وهذا صحيح لأن أعضاء الهيئات التشريعية يتم اختيارهم من قبل الأحزاب السياسية، التي تُموّل إلى حد كبير أو تتأثر بطريقة أُخرى من قبل الرأسماليين الخاصين الذين، لجميع الأغراض العملية، يفصلون الناخبين عن الهيئة التشريعية. والنتيجة هي أن مُمثلي الشعب لا يوفرون حماية كافية لمصالح الفئات المحرومة من المواطنين. علاوة على ذلك، في ظل الظروف الراهنة، يتحكم رأسماليو القطاع الخاص، بشكل مُباشر أو غير مُباشر، في المصادر الرئيسية للمعلومات (الصحافة، والإذاعة المسموعة والمرئية، والتعليم). وبالتالي، من الصعب للغاية، بل ومن المستحيل تماماً في معظم الحالات، أن يتوصل المواطن الفرد إلى استنتاجات موضوعية وأن يستخدم حقوقه السياسية بذكاء. يتسم الوضع السائد في أقتصاد قائم على المُلكية الخاصة لرأس المال بمبدأين أساسيين: أولاً، وسائل الإنتاج (رأس المال) مملوكة للقطاع الخاص ويتصرف أصحابها بالشكل الذي يرونهُ مُناسباً؛ ثانياً، عقد العمل مجاني. بالطبع لا يوجد شيء إسمهُ مجتمع رأسمالي خالص بهذا المعنى. وعلى وجه الخصوص، تجدر الإشارة إلى أن العُمال، من خلال نِضالات سياسية طويلة ومريرة، قد نجحوا في تأمين شكلٌ مُحسّن إلى حدٌ ما من "عقد العمل المجاني" لفِئات مُعيّنة من العُمال. لكن إذا نظرنا إلى الأقتصاد ككُل، فإن الإقتصاد الحالي لا يختلف كثيراً عن الرأسمالية "النقية".

يتم الإنتاج من أجل الربح وليس للإستخدام. لا يوجد بند ينصُ على أن جميع القادرين والراغبين في العمل سيكونون دائماً في وضع يُمكّنهم من العثور على عمل؛ يكاد يكون هناك "جيش من العاطلين عن العمل". يخاف العامل بإستمرار من فقدان وظيفته. ونظراً لأن العُمال العاطلين عن العمل وذوي الأُجور المُتدنية لا يوفرون سوقاً مُربحة ، فإن إنتاج سلع المُستهلكين مُقيّد، وينتج عن ذلك مشقة كبيرة. ويؤدي التقدم التكنولوجي في كثير من الأحيان إلى مزيد من البطالة بدلاً من تخفيف عبء العمل على الجميع. دافع الربح، بالإقتران مع المُنافسة بين الرأسماليين، هو المسؤول عن عدم الأستقرار في تراكم رأس المال واستخدامه مما يؤدي إلى كساد شديد بشكل مُتزايد. وتؤدي المُنافسة غير المحدودة إلى إهدار كبير للعمالة، وإلى شل الوعي الإجتماعي للأفراد كما ذكرتُ من قبل.

أنا أعتبرهذا الشلل للأفراد أسوأ شرور الرأسمالية. ويُعاني كُلُ نظامنا التعليمي من هذا الشر. يتم غرس موقف تنافسي مُبالغٌ فيهِ في الطالب، الذي يتم تدريبه على عِبادة النجاح الإستحواذي كإعداد لمستقبله الوظيفي .

إنني على يقين من أن هناك طريقة واحدة فقط للقضاء على هذه الشرور الجسيمة، وهي إنشاء اقتصاد اجتماعي مصحوب بنظام تعليمي موجه نحو أهداف اجتماعية. في مثل هذا الإقتصاد، تكون مُلكية وسائل الإنتاج للمجتمع وتتم استخدامها بطريقة مدروسة. إن الإقتصاد المُخطط ، الذي يُكيّف الإنتاج وفقاً لإحتياجات المجتمع، من شأنه أن يوزع العمل الذي يتعيّن القيام بهِ بين جميع القادرين على العمل ويضمن سُبُل العيش لكُلُ رجل وإمرأة وطفل. إن تعليم الفرد، بالإضافة إلى تعزيز قُدُراته الفطرية، سيحاول أن يُنمي فيهِ إحساساً بالمسؤولية تجاه زُملائه بدلاً من تمجيد القوة والنجاح كما يحدث الآن في مجتمعنا الحالي.

ومع ذلك، من الضروري أن نتذكر أن الاقتصاد المُخطط لم يصل بعد إلى الإشتراكية. قد يكون الإقتصاد المُخطط على هذا النحو مصحوباً بالإستعباد الكامل للفرد. يتطلب تحقيق الإشتراكية حل بعض المُشكلات الإجتماعية والسياسية الصعبة للغاية: كيف يمكن، في ضوء المركزية البعيدة المدى للسلطة السياسية والإقتصادية ، منع البيروقراطية من أن تُصبح قوية بالكامل ومفرطة؟ كيف يُمكن حماية حقوق الفرد وبالتالي ضمان ثقل ديمقراطي موازي لسلطة البيروقراطية؟

إن وضوح أهداف الإشتراكية ومشكلاتها لهُ أهمية كبرى في عصرنا الإنتقالي. وبما أن المُناقشة الحُرة وغير المُقيدة لهذه المشاكل، في ظل الظروف الراهنة، أصبحت من المُحرمات القوية، فأنني أعتبر أن إصدار هذه المُجلة خدمة عامة مُهمة.

رثاء الأبناء

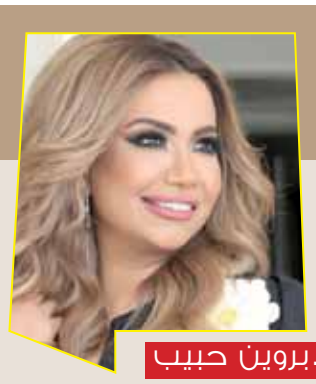

د.بروين حبيب

لطالما جعلت فجيعة الموت والفقدان الإنسان ينهار، وقد لا يكفيه البكاء والنحيب والصراخ وشقّ القمصان، وعناق الأحياء من الأحبة لنسيان فجيعته، فيلجأ لإخراج حزنه على شكل كلام قد يكون شكوى أو دعاء، وقد يكون موالاً أو شعراً أو نصاً...فّالكتابة عن الراحلين رغم أنها تحرك السّكين في الجرح إلا أنها تحرر صاحبها، وتجعله متصالحا مع مصيبته. ولا يجد الكاتب إلا قلمه يشكو به مواجعه للورق. فكيف إذا كان الفقد فقد الولد.

لا يوجد مصطلح يختصر حالة الفاقد لولده، فهو أكثر من يتيم وأكثر من أرمل، وقد عشته مع أصدقاء فقدوا ابناءهم، وتلّوعت معهم كوني دوما كنت أضع نفسي مكانهم. وقد قاسمت صديقي الدكتور جمال المقابلة الناقد والأستاذ الجامعي وجعه الكبير حين فقد ابنته الصغرى اللامعة المتألقة وقد قام مؤخرا بافتتاح "ركن خديجة جمال المقابلة للكتاب وفضاءاته" في مكتبة في مكتبة الجامعة الهاشمية برعاية رئيسها فواز العبد الحق الزبون.

اقشعرّ جسدي أمام الفكرة، وأنا أتابع بعض التفاصيل خلال المناسبة، وتأثرت كثيرا وأنا أرى الأب المفجوع يحاول التماسك حتى لا ينهار وهو يلقي كلمته أمام الحضور. لا فارق زمني بين متابعتي لهذا الحدث، وبين الفيديو الذي أرسلته لي صديقتي الروائية فضيلة الفاروق وهي تتحدث عن كتاب "رسائل فدوى" لأب آخر مفجوع في ابنته وهو الكاتب أحمد الراشدي من عمان، طلبت الكتاب على وجه السرعة، وفكرة "رثاء الأبناء" تجتاحني اجتياحا، إنها فكرة مجلجلة لارتباطها بأعظم الأحزان على الإطلاق.

لهذا فإنّ رثاء الأبناء نثراً وشعراً قديم قدم الموت نفسه، وفي التراث العربي عدة كتب كتبت لتعزية من فقد ولده مثل كتاب ابن ناصر الدين "برد الأكباد عند فقد الأولاد" وكتاب السيوطي "فضل الجَلَد عند فقد الولد". ولعلّ أشهر من رثا ولدًا ابن الرومي الذي فقد ثلاثة من أبنائه، وأحيحة بن الجلاح، والحارث بن عبّاد، وزهير بن أبي سلمى، وجرير، وبشار بن برد، وآخرين كثر يصعب ذكرهم جميعهم. مع أن أكثرهم فاجعة إنّما هو أبو ذؤيب الهذلي الذي فقد أولاده الذين قيل إنهم أربعة، وقيل خمسة، كما قيل سبعة أصيبوا جميعهم بوباء الطاعون وماتوا في عام واحد.

رثى نزار قباني ابنه هو أيضا، وكتب الكثير في الرثاء، في والده وأخته وزوجته، ولكنّه ظلّ شاعر الشعر الرومانسي أو شاعر المرأة في نظر أغلب قرائه. وإلى يومنا هذا كثر يصدمون حين يعرفون أنه القائل "لو كان للموت ابنٌ لأدرك ما هو موت البنين" وهو بيت من مرثية طويلة في ولده توفيق.

كما رثت خنساء الشعر العربي المعاصر "عائشة التيمورية" ابنتها التي توفيت قبيل زفافها، ما أدخلها في مرحلة ذهول وصدمة جعلتها تجلس ابنتها على كرسي العرس بثياب العروس، وهي ميتة، وغنّت جرحها وحزنها بطريقتها على مدى سنوات طويلة، كتبت فيها الكثير من الرثاء الذي ربما لم يشف وجعها ولكنّه جعلها تعبُر تلك المرحلة إلى أخرى أكثر سكينة وهدوءا وتصالحا مع القرار الإلهي في استرجاع أمانته.

الشاعر المصري هشام الجخ أشهرمشاهير الشعر بالعامية، الذي حفظنا رثاءه في ابنته جويرية، والتي توفيت قبل بلوغها السنة من عمرها، فهو القائل "يا حتّة القلب اللي مات، وعد يا ست البنات، حافضل أحبك من سكات..."

في الأدب العالمي نعرف قصة فيكتور هيغو الذي كان في إسبانيا مع عشيقته، حين سقط عليه خبر وفاة ابنته "ليوبولدين" متأخرا، والتي ماتت غرقا وهي حامل مع زوجها. وقد رثاها بقصائد عديدة.

كما تحضرني إيزابيل أللليندي وتجربتها المأساوية مع انطفاء ابنتها شيئا فشيئا بعد إصابتها بفيروس نادر أدخلها في غيبوبة لمدة سنتين قبل أن تسلم الروح، وكانت أمها قد كتبت لها رسالة طويلة دوّنت فيها تفاصيل حياة أسلافها، ومن ثم حياتها هي، ولكن باولا ماتت في سن الثامنة والعشرين ولم يتسنّ لها قراءة تلك الرسالة التي تحوّلت لكتاب حمل اسم ابنتها كعنوان "باولا" وصدر العام 1994، وقد ترجم للغة العربية من بين اللغات التي ترجم إليها.

أمّا الكاتب والحكواتي العُماني أحمد الرّاشدي الذي صار يبحث عن أطفال الجنة ليتعرّف إليهم فقد كتب سبعون رسالة كتبها على امتداد ست سنوات من 2014 إلى 2020، بعضها قصير وبعضها طويل نسبيا، خاطب فيها فلذة كبده التي توفيت في حادث صعق كهربائي على سطح بيت جدّها. وهو دون قصد جعلنا نتذكّر عشرات الأطفال بل مئات من الذين نفقدهم يوميا في حوادث بائسة، من إيلان السوري الذي مات مرميا على الشاطئ، إلى محمد الدرة في فلسطين، إلى ريان المغربي الذي مات في البئر، وإلى كل الذين ماتوا في عتمات العالم دون أن يحرّك موتهم وجداننا.

يروي لنا الكاتب في 144 صفحة من القطع الوسط، حكاية فدوى منذ ولادتها واختياره لاسمها تيمنا بالشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، إلى حين بلغه خبر موتها وهو في رحلة إلى ماليزيا، وكان قبل تلقيه ذلك الخبر المشؤوم زار سوقا شعبيا واقتنى لها قبعة على شكل رأس أسد، وأخذ صورة لنفسه بالقبعة وأرسلها لزوجته بالواتس آب مع رسالة يقول فيها "هدية لحبيبتي فدوى" ولعلّ الصدف الحزينة شاءت أن تكون تلك اللحظة لحظة مفارقتها الحياة، تاركة خلفها عائلة مفجوعة وأب ألتهمته نيران القلق والخوف والحزن والأمل معا وهو في طريق عودته من ماليزيا إلى عمان. إذ ظلّ متعلّقا بأمل أن يتم انقاذها، فقد كانا متعليقين ببعضهما كثيرا، ويذكر في رسائله أنها أول مرة طلبت منه أنْ لا يسافر.

وكما كل المصدومين في فقد أحبتهم، يذكر الكاتب جميع من وقفوا جنبه في مصابه ومن كان لهم أثر في تخفيف ما عاشه من حزن وانكسار، يذكرهم بأسمائهم فبعضهم كتب قصة أطفال عنها وآخر أهدى إليها قصيدة، ويحكي كيف تجنب أي ذكر لها في السنتين الأوليين فلم يذكر اسمها مطلقا أمام أمها ولم

يفتح ألبوم صورها، ولكن كان يفرح حين يناديه بعض أصدقائه أبا فدوى. يحكي تفاصيل كثيرة عن فدوى التي لم تعش سوى ست سنوات، عن إصابتها عند ولادتها بورم حميد، وعن تعاونه بعد وفاتها مع طبيبة طلبت ملفها، ثم عن قطها الذي أسماه «شاي» لولع أحمد الراشدي بشرب الشاي، ولأن القط خجول وكلمة "شاي" لها هذا المعنى في اللغة الإنجليزية، لكن المثير للدهشة أن القط بعد فترة من وفاة فدوى اختفى. هي التفاصيل التي تصنع المشهد الكلي لكتاب الرّاشدي.

في فصل "الرسائل" كثير من تفاصيل حياتهما معا أو حياته بعدها فقد بقي يكتب لها الرسائل لأنها حية في قلبه. وفيها تفاصيل موجعة مثل قوله "صرت أنتحب تحت دش الماء حتى لا أوجع قلب أمك وعينيها" أو "ألبوم صورك الذي امتلأ به هاتفي وكنت أدّخره لك حين تدخلين الجامعة صار ألبوم شجن وأنس لي".

في الفصل الأخير وعنوانه "ما بعد الرسائل" يذكر ما يسميه "وجدانيات آنسته في عزلة حزنه على فقد فدوى" فمن ذلك سورة يوسف بما تحمله من معاني فقد النبي يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام، وقصيدة الجواهري "في ذمة الله ما ألقى وما أجد" وقصيدة "فاطمة قنديل" للشاعر عبد الرحمن الأبنودي، ومعزوفة "رحيل القمر" لنصير شمة، أغنية "خودا حافظ» للمغنية الإيرانية حُميرا، قصة الأطفال «فدوى تحلم» للكاتب مهنّد العاقوص ورسومها للفنانة ضحى الخطي، وغيرها من نصوص وقصائد وأغاني، وتفاصيل جد مؤثرة، لا يمكن أن نجدها سوى في هذا النوع من الأدب الوجداني المنبثق من جرح عميق.

كتاب يعيدنا إلى أدب الرسائل، الطبعة الأولى منه صدرت في 2021 عن دار نثر – عُمان، وهو مقسم إلى تقديم وفصول ثلاثة. وتقديم وجداني كتبه الصحافي والكاتب العماني سليمان المعمري. أرسلته لي صديقتي على عجل، وكتبت لي إهداءً عليه تقاطع مع إهداء الكاتب "هل تصدقين بعض الموتى لا يرحلون ومنهم فدوى، أعتقد أن الأطفال لا يموتون بل يتحوّلون لكائنات لا مرئية تحمينا من هشاشتنا".

أحمد الرّاشدي حكواتي وناشط في فعاليات القراءة للأطفال، مشرف ومؤسس مبادرة "القرية القارئة" لتشجيع الأطفال على القراءة. معد ومقدم برامج إذاعية مع كتّاب أدب الطفل، عضو في فرقة المسرح الشعبي. أب من النماذج القليلة التي يحلم بها الأطفال في عالمنا العربي. وقد يعتبر البعض كتابه بسيطا، وهو يقرأ تلك الرسائل.

«فدوى... فدوى: المكتبة التي وضعتِ أول كتاب فيها لأطفال القرية صارت مكتبة كبيرة. مكتبة «القرية القارئة» حصلت على المركز الأول في مسابقة المبادرات القرائية المجتمعية في معرض مسقط الدولي للكتاب في دورته الرابعة والعشرين». (ص 124).

يستحيل لمن عاش تجربة الفقد ولوعتها أن لا يعانق هذا الكتاب بعد قراءته، وينهض ليمضي قدما نحو أفق أكثر جمالا.

آريس أم ثانتوس؟

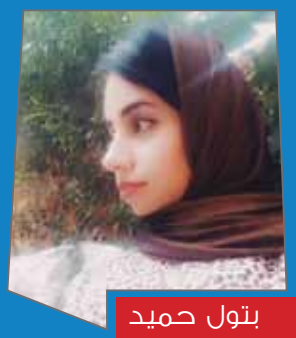

بتول حميد

في الرقة والتفاصيل الصغيرة، بين أسطر الروايات التي نقرأها في لحظات معينة، ووراء المقطوعات الموسيقية التي نسمعها بالصدفة، مادة «خام» تعطي لحكايتنا في الحياة معناها.

قد يكون معنى الحياة في المطلق ليس مسألة فردية بحتة.. فمعنى الحياة لاحق لوجودها، وما المشاعر الإنسانية من حبّ وكراهية وكل ما ينبعث من خلجات الروح من وعي وأنماط سلوك، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمفهوم الذي خلعناه على حياتنا وعلى الحياة عامة. وكل تململ وسأم أو رفض وتمرد ما هو إلا تعبير عملي على الاعتقاد السائد بأن ثمة خرق للمفهوم الذي نصوغه في أدمغتنا لـ معنى الحياة.

معنى الحياة إذن كلمة واسعة لا يحدها مفهوم واحد، فإن كانت السعادة تأتلف من الغيوم عند الفلاح والشاعر، ستبدو أيضاً متفاوتة في ماهيتها. وكم هو بليغٌ وآسر.. المطر في عين الفلاح!

قد يتجلى المعنى الذي تصوغه مواقفنا من الحياة نابضاً بالرضا والحبّ.. أو بالمقت والقنوت، غير أنه قد لا يتضح إلا إذا بدت العلاقة مع الحياة منسجمة، من حميمية الأشياء الصغيرة، عبوراً بالطبيعة والسعي وانتهاءً بالوجود. فكيف ستهز كتفيك أمام الحياة وتتأفف أمامها دون أن تحبّها سلفاً؟

يقول فرويد أن آريس "إله الحبّ" مولود معنا ومقيم في أرواحنا، وبأنه ليس إلهاً يأتي من الخارج. في الوقت الذي يغفل عن أن ثانتوس "إله التدمير"، مولود معنا أيضاً وقادر على قتل آريس واحتلال كينونتنا. ولأننا خليط من بناء بيولوجي موروث، وطفولة ناعمة وتنشئة أسرية ووعي اجتماعي وثقافي مختلف، تتباين معانينا بين الحبّ والتدمير ومدى طغيان نصيب أحدهما على الآخر.

وبوصف الحبّ والتدمير غريزتين، فإنهما يخضعان لتحوّل عبر الثقافة، ونادرًا ما يظهران في صورتهما الطبيعية. يقول الفيلسوف الألماني هربرت ماركيوز؛ "في المجتمعات المستقرة ذات الحياة المتميزة بالوفرة وتلبية الحاجات الضرورية، والمتمتعة بحظ جيد منمن الأمان والحرية والحق المقونن، يحضر الحبّ كسمة عامة من سمات هذا المجتمع، ويغدو التدمير حالة فردية أو محدوداً في جماعات صغيرة، وبالعكس حين يعيش مجتمع ما تحت حكم دكتاتورية، والدكتاتورية عنيفة بالضرورة، وحياة ملؤها الخوف والغضب والفقر؛ فإن غريزة التدمير تنمو نمواً سرطانياً، وإن كانت مكبوتة بسبب القمع الذي يحول دون ظهورها، فغريزة التدمير التي يُظهرها النظام المستبد تخلق نظيرها وتتراجع غريزة الحبّ وثقافتها المعشرية».

وبالتدقيق في مفاهيم الحق والحرية والديمقراطية والتعاون والعدل والكرامة؛ فسنجد أنها تعبيرات سياسية واجتماعية مبعثها أخلاقي لانتصار غريزة الحبّ وطرد كل آثار غريزة التدمير، دون أن يستدل ب على انتصار الحبّ على التدمير انتصاراً كلياً،بل إن الثورات إذا ما وقفت عند مرحلة التدمير، فإنها تُعيد بشكل أو بآخر إنتاج ممارسة غريزة التدمير.

حين تتخذ موقفك من الحبّ كشاعر مثلاً، فإنك قد لا تقيم مسافة بينك وبين الحبّ، بل إن حديثك الشعري هو الانعكاس الحقيقي لتجربة الحبّ، فليس الحبّ عند الشاعر بنص يكتبه، بل إنه الذات وقد صيغت بالحبّ فتسيل الكلمات كصياغة خالصة للتجربة الروحية.

ماذا حدث في المطبخ؟

زهراء المنصور

لم يعرف عالمنا المسرحي العربي عروضاً مستوية على نار هادئة حتى النضج إلا قليلاً؛ والإشارة هنا للأسماء الكبيرة قبل الصغيرة، حيث يثبت الوقت أن التجارب هي التي تحفر في الذاكرة، حتى لو لم يتذكر الجمهور من القائمين عليها.

وحسب المشاهدات الشخصية، فإن معظم العروض المسرحية التي أتابعها حيّة وعبر وسيط، تكون في أطر مألوفة كلاسيكية/ تجريبية، أو غيرها، تبتكر لتجديد العمل نفسه وعناصره: فالفكرة التي قد تكون مطروقة من قبل، تعاد صياغتها بشكل يجعل منها متجددة، أو تغيير في نمط سلوك الشخصيات بحيث لا يتشابه الشرير –مثلاً – في عرضين مسرحيين لنص واحد.

رغم هذا التجديد، يخرج المتلقي بطمأنينة أن كل شيء على ما يرام، وأحياناً توقع الفعل حسب مسار الشخصية وردود أفعالها، مقارنة بمن حولها، وأيضاً سيرة المخرج في مجمل أعماله. وهكذا بالفعل يكون «كل شيء على ما يرام»، فتخرج من عمل مسرحي، مهما كان مستواه، ثم تنساه بعد أن تلهو في أمور أخرى.

هذا ليس عيباً كبيراً في العرض المسرحي، لكنه قصور في الرؤية – ربما –، فمن يتاح له أن يخرج عملاً مسرحياً من نص قرّاؤه محدودون بالعدد – وهذي نتيجة مستخلصة من إقبال القراء عموماً المهتمين بفنون السرد الأخرى –؛ لا بد أن يظهر بما هو أكثر من «التنفيذ»؛ تنفيذ الشخصية وبقية العناصر التي تساهم في جعل العمل لطيفاً وقابلاً للمشاهدة والمتعة، وبين أن يوقظ بين ثناياك ما هو موجود وخامل ربما، حسب ذاكراتك الحسية، والتاريخ الذي تحمله بدون تخطيط ولا قراءة. فأحداث المجتمع حولك، وتقسيماته المحسومة منذ الصغر، تخلق هذا التاريخ دون بذل أي مجهود.

«المطبخ» أحد هذه العروض التي تنخر بأدوات بسيطة في أمراض اجتماعية مزمنة، الذي سبق عرضه في مهرجان إيزيس لمسرح المرأة في سبتمبر 2021. ومن العرض الأول، يتبين أنه مختلف على نحو ما، لا يصب أفكاره بطريقة مباشرة، بل يلقيها على جرعات مخففة، بحيث تعيد تشكيل الجملة الحوارية مرات ومرات في داخلك! ولأجل ذلك، كان حرص المشاهدة للمرة الثانية في مهرجان المسرح القومي، أغسطس 2022، لمراجعة الأفكار التي وصلت منذ المشاهدة الأولى، أو بلفظة أدق: "الدهشة" التي تجعل من حدث عادي فعلاً ممسرحاً جديراً بالالتفات.

في "المطبخ" هناك أريكة خشبية تتوسط الخشبة، تشبه في تكوينها آلة الهارب الوترية، أو هكذا توحي شكلياً في عدم تساوي الطرفين، لكنها لا تقارب المعنى بالطبع، حيث الفتاة المتكومة في طرفه بملابس لا توحي بأي حالة، تكتب قصاصات بين حين وآخر، وترميها، لا يبدو ما تخربشه مهماً لكن في الحقيقة هو لب شخصيتها ومفاتيح قراءتها! اللون الأصفر الباهت في مجمل شكلها؛ الشعر/ البشرة، ولون الملابس، والإضاءة التي ترسخ اللون بقصدية الإحساس بالقلق وعدم الاستقرار والمرض، وتحديداً مرض العلاقات الاجتماعية. فهذه الأريكة هي بيت الزوجية، وهي كل ديكور العرض، مع الحديث عن المطبخ وغرفة النوم على اليمين واليسار، لأهمية ذكرهما في سياق الحديث. يتكرر الحوار الدائري بينها وبين الزوج –باللهجة المصرية– على نحو ينحو للعبثية: طبخت لك الأكل الذي تحبه/ ولكنك لا تحبينه؟/ سآكل أي شيء آخر/ لقد قلت هذا أمس وقبله وقبله!

مستوى الأداء في هذا الحوار المتكرر يبين الانفعال المبالغ فيه –والمقصود أيضاً– بين الزوجين، بينما هي تحتفظ بهدوء ناضج مستغرب، ظاهره برود مستفز، وباطنه عمليات حسابية متعلقة بما كانت فيه عند أهلها، وما آلت إليه عند زوجها. كانت تعتقد أنها ستنتقل إلى وضع أفضل، وليس إلى جحيم حتى نهاية العمر! ويكتشف المتلقي السلوك الملتبس حينما يدعو الزوج زوجته، بعد حوار الطبخ والطعام، للفراش بشكل آلي فج: إلى السرير بعد دقيقة من الآن! هنا تذوي الشخصية المدعية للهدوء، وتتكوم أكثر وهي تحاول التعلل بحجج الوقت الشهري، أو التعب، أو عدم الرغبة. ولأن هذا يتكرر كثيراً، فهو مدعاة لتعنّت الزوج أكثر، دون بحث في الأسباب لرغبة طبيعية مع الشريك "الصحيح"، وهذا لا يحصل أبداً، لذلك يتكرر الطلب الفج، وتتكرر الأعذار.

والسبب الذي يكشف عن نفسه لاحقاً في قصاصاتها، هو في كونها عانت من انتهاك جسدها في الطفولة من قبل العم، ولم يعبأ بها أحد، أو يصدقها حين اشتكت، وتم احتواء الموضوع كأنَّ شيئاً لم يكن، وكأنَّ الوقت يمكن أن يمحو ما حدث لذاكرة جسد أنثى من يفترض به الحفاظ عليه وحمايته من الآخرين، غير مدرك أن هذا الجسد سيتأذى طويلاً وكثيراً، مهما طال به الوقت. ولأن هذه الحكايات التي نظن غالباً أنها بعيدة عن محيطنا؛ لا تسمع إلا همساً وخفاءً أو في صفحات الجرائم التي تسترق الحكايات من قضايا مراكز الشرطة، وما يحدث فيها من غرائب، لا يخطر على بال أن تحدث في المجتمع الذي نعرفه ونتعامل مع أفراده، فاحتمالية تصديقها صعبة، وإن صدقت فلا بد من طمس الموضوع ولملمته؛ ظناً بأن مصيره للنسيان

مع الوقت. أما وقد انطفأ هذا الجسد قبل الاشتعال، فلن يستطيع أن يوقد مجدداً مثل عود الثقاب المقرون بشرف الأنثى. هنا اشتعل في غير مكانه، فاستخدم على النحو الخاطئ الذي جعل من الغريزة الطبيعية ذاكرة سيئة لا يتحرر معها الجسد المرتبط بأثر سيء وغائر. فكيف لزوج لم يفكك عقدة مربوطة بإحكام، أن يشتكي بعدها من سوء حياة زوجية؟

ولأن هذه الحياة الخاصة هي عماد مهم في الزواج والشراكة، بالإضافة إلى مشتركات أخرى تولد انسجاماً وعشرة تصلح لحياة طويلة ومقبولة – إن خفّ وهج الشغف الأول –، فمن المتوقع أن يكون الزوج هو الشخص «القالب» الموجود في معظم بيوت البسيطة، الذي يستخدم الزوجة في غريزتيه الأساسيتين: الطعام والجنس، وعندما لا يجد لذة فيهما، لأنه بلا شريك حقيقي في الاثنين، يهرب إلى الرسم الذي يعتقد أنه موهوب فيه، ويسأل بين حين وآخر عن السيدة المجهولة التي أبدت إعجابها بلوحاته، وعبرت عن رغبتها بشرائها، رغم أنه كان يرسمها بدفتر Sketch صغير، يبدو أن لا جمهور لإبداعاته سوى الزوجة التي لجأت إلى هذه الحيلة كي تمد معه حديثاً يمس ما يعتقد أنه شغفه.

وحين يحاول استفزاز أنوثتها كزوجة، يهددها بأن يحضر معه فتاة ليل متمرسة، يظن أنه يمكن أن تحرك هذا البرود الذي لا يفهمه! وإذ بها تكون الحجر الذي بدد سكون الماء؛ هذه المتعودة أن تستخدم جسدها كمصدر رزق، لا تبدو رخيصة ولا ذليلة. ما يمنحه الزبون؛ هي من يختاره، وتحدد المبلغ المطلوب، والوقت أيضاً حسب رغبتها. وما أبدته من شك، ومحاولة تراجع حازمة إزاء وجود الزوجة في وجودها غير المنطقي، نسفه قول الزوجة بأنها لا تمانع في وجودها، وأنها ستكون في المطبخ، حتى لا تكون مصدر إزعاج ريثما ينتهي كل شيء على السرير في غرفة نومها!

هذا الشكل غير المعتاد من العلاقات التي تعرفها المومس، بحكم كم الناس المتنوعين الذين تقابلهم، والأكيد أن لها خبرتها المختلفة في التعامل دوناً عن الزوجة حبيسة البيت/ الحياة. وفي هذا الالتقاء قطبان مختلفان في السلوك، والنظرة إلى الأمور، وتحكيمها؛ التفكير البكر، وتسليع الجسد بمقابل مادي، الحكم على الزوج من منظورين: احترام وتقدير مبالغ فيه من الزوجة، مقابل بخل مادي وعاطفي وفجاجة لا حدّ لها. والمنظور الآخر هو تعامل المومس بدونية، واستغناء، وإمكانية فض الصفقة في أي وقت تختاره هي أيضاً. عملية تقارب الشراء من المحلات الكبيرة التي تبيع السلعة متسلحة بالاسم المعروف، وتعي اللهاث لاقتناء شيء منها. لذا فشروطها مفروضة، والزبون هنا ليس على حق، وكل ما يفعله هو الرضوخ فقط.

مع التقاء القطبين، يحدث التأثر المتوقع في الشخصيتين. فكلتاهما تدخل مخاض التفكير في ما هي عليه، والصورة البصرية الناطقة صمتاً، التي جمعت الاثنتين في كادر واحد، عميق الرؤى فوق الأريكة، وتحتها، وما بينهما زوبعة أفكار. المنبه الذي يسوق العاملة لتأمل قيمة ما تبيعه برخص، حتى مع سعر عالٍ، والزوجة التي يتوضح لها حجم زوجها، وحدوده، حتى تقّرر أن تغير ثوبها المنزلي الوحيد، وتأخذ ما تحتاجه، لتصفق الباب وراءها، كما فعلت نورا ببيت دمية إبسن، القرار الذي أخذته بعد يقين أنها ستمضي قدماً، أياً كان ما يحمله القادم.

المفاجأة أن مؤلف ومخرج "المطبخ" هو نفسه الشاب محمد عادل، وهذا ما يدعو للارتباك في أكثر من جانب؛ حيث تؤكد التجارب المختلفة لمخرجين متعددين لهم سير جيدة في المسرح، أن "الاستحواذ" على صفتي الإخراج والتأليف غالباً يأتي بنتائج أقل من المتوقعة، وقليل يصل للندرة من قد ينجح بنفس كفاءة التركيز على إحدى الصفتين ومناولة الأخرى لأهل الاختصاص، ممن يمكن أن يطور من العمل برؤيته. وما حدث هنا أن كل العناصر طوّعت من أجل خدمة الفكرة التي سقاها العرض لمتلقيه جرعات من دواء مرّ، لكنها جرعات صغيرة وفاعلة! فالنص، بعيداً عن العرض، قد يبدو عادياً، أو مأخوذاً عن فكرة أجنبية لا تمتّ لبيئاتنا العربية بصلة، بلا متغيرات هائلة، ولا مفاجآت تذهل، ولا حتى قام العرض بالاشتغال على الإثارة البصرية التي قد تلهي بعض المتلقين عن لب الموضوع بالإبهار.

وما حصل هو أن عادل أتى بحصيلة أفكار مجتمعية، وأعاد تسطيرها بشكل غير مألوف عن مجمل مشاهداتنا في ما يخص قضايا المرأة مثلاً، عدا الأفكار الأخرى التي تحمل أكثر من وجه وتفسير، كموقف الزوج المألوف الذي يطالب بحقوقه حتى التمام في كل شيء. كل العناصر قدّمت بهدوء العارف الواثق، بالرغم من حداثة عمر المخرج وتجربته الإبداعية. الإضاءة المحسوبة بدقة، والموسيقى المتقنة، والمؤلفة خصيصاً للعرض لتناسب الفعل الذي يتطور على مهل. بيد أنه منظور ناضج، لعل بعضاً منه من مخرجات حاضنة نهاد صليحة، التي خاضها المخرج سابقاً بهذا النص، والأكيد أن رؤيته هي التي تفوز في النهاية، بحيث يخرج المتلقي متيقناً أنه عنى المجتمع الذي يحضر، ويطهو، ويقدم بمقاييسه عنوان العرض "المطبخ"، وليس المكان الذي كان على يسار خشبة المسرح.

هوامش

عرض المطبخ من تمثيل: لبنى المنسي/ محمد شكري/ ليلة مجدي/ أحمد عادل/ إضاءة: حسن محمد/ ديكور: سلمى أبو الفضل/ موسيقى: معتز الأدهم

فاز هذا العرض في مهرجان المسرح القومي، أغسطس 2022م، بخمس جوائز: أفضل مخرج صاعد/ أفضل إضاءة/ أفضل ممثلة صاعدة/ أفضل عرض ثانٍ/ أفضل مؤلف مسرحي.

زوربا الذي لا يشيخ

حميد الملا

من الروايات الخالدة والروائع الكبرى في الأدب الحديث والتي لا تود أن تفلت من بين يديك ويتسرب إندهاشك وأنت تقرأ أثرا لا ينسى ،رواية نيكوس كازانتزاكس، تلك الرواية الرائعة هي زوربا التي ظلت في وجدان القراء، تقرؤها مرة لتعود اليها مرات أخرى بنهم وشوق لا يكل، وإنما بحماس متجدد وكأنما تهدف من ذلك أن تجدد شبابك، وتود ان تكون زوربا نفسه، بتلك الروح خفيفة الظل والعنفوان والحياة البسيطة وبالمرح فائق الجمالية لتعب وتنهل من نعم الحياة وملذات الروح والجسد معا، إنه زوربا العظيم المفعم بالحيوية والبساطة يعيش الحياة ويهيم بها بكل امتلائها وامتلاكها، فالحب لكل ما هو مفرح للروح والجسد مسكون فيه يعيشه بكل جوانح حواسه، بالمرأة وبالطبيعة، بالبحر يفرح بمغامراته بحيوية وثبات وسرور وفرح وبهجة، لينعم بحياة هانئة رغم ضيق العيش وكفاف المعيشة وقلة ذات اليد .ظللت مسكونا بهذه الرواية الرائعة أتأمل جمال كلماتها والعبر الممزوجة بطين الواقع وإنعكاس كل ذلك على سلوك الانسان لتحسين ذوقه وترميم ذاكرته وفتح شهيته للابداع وصقل أخلاقه وصون ذائقته للاشياء المهمة في الحياة حتى لا تتلف روحه وتغيب حواسه عن المتعة والجمال لكل ما هو جميل وبهي وحتى لا تصبح العقول عاجزة عن التفكير كالجسد العاجز عن حمل صاحبه.

قلب يطفح بالسعادة وروح عذبة،عينان حزينتان، متألقتان، خدان أجوفان وفك قوي، ووجنتان ناتئتان، وشعر رمادي مجعد، وجهه مليئًا بالغضون تعبًا، قلب حي، أذنان كبيرتان ممدودتان، فم واسع نهم، روح خام كبيرة، هو ذا الكسيس زوربا، كما صوّره الكاتب، يعزف السانتوري الذي تعلمه على يد شخص تركي يدعى رتسب أفندي وهو أستاذ ماهر في عزف هذه الآلة الموسيقية.

هذا العامل البسيط يعرف معنى الحياة وكيفية عجن الاشياء ببساطته دونما فذلكة ، فالفن والحب والجمال والطهارة والهوى يؤنسنها بتوضيحات سهلة وبأسلوب مفهوم وبسيط.يقول عنصه كازانتركس (لا شك في إن البرق، والمراكب البخارية، وسكك الحديد، والأخلاق السائدة، والوطن، والدين، كانت تبدو في عقله، كبنادق عتيقة صدئة. لقد كانت روحه تتقدم بأسرع مما يتقدم العالم).

المرح يتملكه دوما وأبدًا وكأنما يود أن يتملك العالم ويعانقه ،الجنس الانثوي كما اعتاد أن يسمى المرأة يغويه ويشعله اشتعالا، فوراء كل إمراة كما يقول كازانتراكس: ينتصب وجه افروديت، صارماً، مليئاً بالأسرار. فزوربا يرى يوميا كل الأشياء للمرة الأولى ويتسائل بذهول عن كل شيء المرأة، شجرة مزهرة، رجل، قدح من الماء البارد، فهو كالثعبان الذي يعبده متوحشي أفريقيا، فجميع المشاكل المعقدة التي تبدو لنا بلا حل، يحسمها هو، بضربة واحدة من السيف، مثل مواطنه إسكندر الكبير .

يرقص بوحشية ويغرق في الرقص كصبي يافع وهو الذي تجاوز من العمر الخامسة والستين، فالفرح يلازمه ويتوحد به ليجسد به متع الحياة ويرمي بهمومه بعيدا لتبقى روحه معلقه تجاور السماء باعثا الرضا والمحبة له ولغيره، وكأنما يود لو أن يطير، فهو قالع حجارة، عامل مناجم، بائع متجول، فخّار، جندي غير نظامي، عازف سانتوري، بائع بزر اليقطين، حدّاد، كل تلك هي المهن التي مارسها زوربا وأتقنها، وهي من صقلته وعلّمته كيف يعيش بأسلوبه الخاص، فهو إذن قد عبّ ونهل من مدرسة الحياة وتعلم منها الكثير الكثير.

فالراوي يقول عنه ملخصًا أسلوب حياة زوربا: "لو عاش في عصور أخرى بدائية وخلاقة، لكان رئيس قبيلة، والمشى في المقدمة، يشق الدروب بفأسه. أو لكان شاعرًا مشهورًا من شعراء التروبادور، يزور القصور، ولتعلق كل العالم بشفتيه الغليظتين،السادة والخدم والسيدات النبيلات.. اما في عصرنا الجاحد، فهو يجول، جائعا،حول البساتين المسورة، كذئب ، أو يسقط بالأحرى، إلى حد يصبح معه مهرجًا لكاتب ردئ.

فهذا الرجل لايستسلم للصعاب ولا للشيخوخة، ويقول عن نفسه بأنه كلما تقدّم بي العمر ازددت تمردا وأريد أن أغزو العالم، وكلما كبرت ازددت توحشًا ليكفوا عن القول لي إن الشيخوخة تشذب الانسان وتهدئ حرارته."

لم يفوت زوربا فرصة مناقشة جدلية الحياة والموت بأسلوبه الواقعي جدًا من خلال معايشته الطويلة وخبرته المستمدة من واقع تجربته وعمله في مختلف المجالات ليلحق ذلك بطريقة تفكيره البسيط المنبسط على فراش حقيقة وجود الإنسان وطبعه وطبيعته. فالتصوير الجميل لكل كلمة أو حركة يقوم بها زوربا كانت محل تقدير من الراوي وذلك لسبب من أن كازانتزاكس كان يتأسى الطريقة والأسلوب الذي تجلى به زوربا في طريقة حياته بعيدًا عن الكتب والخطابات الجوفاء، فما يوده هو التمثل واقعيًا بتجربة زوربا في الحياة التي استغرقت كل ما قرأه كازانتزاكس من كتب أدبية وفكرية وفلسفية مجردة، فزوربا أصبح نبراسا ودّ أن يتمثله ويتعقب تجربته وخطاه الواقعية بعيدًا عما قرأه وتمثله من نظريات. وقد صهرت الحياة زوربا في مصهرها وبعثته نجمًا مضيئًا في سماء الواقع ليبث ضوءاً لكل من يود أن يتعرف على الحياة الواقعية ويتلمس ضياؤه من خلال هذه الرؤية، ويعيش الأمل ويتلمس المستقبل المشرق ويحلم دوما بالجديد، بالعمل، والنضال من أجل ذلك، فالعمل ضوء، والغناء والفرح والرقص ضوء، والمرأة ضوء والبحر ضوء، هي تلك فلسفة زوربا ورؤيته للحياة، التي لها رتمها الخاص بعيدًا عن الكتب والنظريات على أهميتها، ولكن تبقى التجربة العملية الإنسانية حاضرة دوما، فهي أم المعرفة كما يقولون، وهذا ما فعله زوربا بحسه الإنساني البسيط ولكن اللاقط لكل ما هو معبر ومفيد. مَن منا لا يودّ أن يكون زوربا بهذه المواصفات؟

العنفوان، الأريحية، الإيثار، الإقدام، الشجاعة، الإستقامة، الإستغراق في العمل، المسؤولية التي لا تضاهى، إنكار الذات، الشجاعة، الفرح، النباهة، الذكاء الفطري ،البساطة، النظرة البعيدة للأشياء، التفكير الصلب والواقي، كل تلك تحلى بها، وتعلمها من تنور الحياة لا من الكتب، وعلى هذا الأساس كان كازانتزاكس يحسده عليها رغم ثقافته وفهمه وقرءأته، وكما يقول الكاتب: "وعند المساء يحدثني، وهو جالس أمامي، سندباد بحري رائع، يتحدث ويتسع العالم كلما تحدث. وأحيانًا عندما لا تسد الكلمة حاجته، ينتصب قافزًا ويرقص. وعندما لايكفيه الرقص نفسه، يضع السانتوري على ركبتيه ويبدأ بالعزف.

لقد تنكب زوربا الدروب الوعرة في الحياة وعاش ولمس وجرب جميعها فتدرب على كيفية تخطيها وعمل بكد وجهد للتوصل إلى تلك الفلسفة البسيطة في العيش بصحة للجسد والروح، فاختياراته كانت صائبة على الرغم من تلك الصعاب، حيث كانت لديه رغبة في أن يرى ويلمس أكثر ما يمكن، الأرض، البحر، فزوربا في داخلي كما يقول لايريد أن يشيخ، وهو لم يشخ، ولن يشيخ أبدًا. فعندما يعمل لايشغل ذهنه بأي شيء آخر سوى عمله، والعمل بالنسبة له هو الطمأنينة الوحيدة، فيذكر كازانتزاكس بأن زوربا يظلّ متحداً بالأرض والمعول والفحم. لقد انقلب هو والمطرقة والمسامير إلى جسد واحد، ليناضل ضد الخشب.

وفي موضع آخر يضيف: "كنت أنظر الى زوربا على ضوء القمر الشاحب، وأعجب بتلك الكبرياء وبتلك البساطة اللتين يتلاءم بهما مع العالم، وبجسده وروحه كيف يشكلان كلا واحدا منسجما، وبكل الأشياء، النساء، والخبز، والماء، واللحم، والنوم، كيف تتحد بفرح مع جسده وتتحول الى زوربا. إنني لم أر في حياتي مثل هذا التفاهم بين الانسان والكون."

تعجب بعذوبة روحه وسهولة معشره ومقدرته العملية في حل مشاكله مع الحياة ليقول عنه كازانتزاكس: إن كل المشاكل التي كنت أحاول أن احلها، عقدة عقدة، في عزلتي وأنا مسمر على مقعدي، قد حلها هذا الرجل، وسط الجبال، في الهواء الطلق، بسيفه. هو ذا زوربا، إذن يحيل الفكرة إلى واقع، يطيل النظر ويستقر به المقام ويبدأ في تنفيذ مشاريعه، فيقول عنه الكاتب بأنه انسان حارة دماؤه، متينة عظامه، يترك دموعا كبيرة حقيقية تنساب حين يتألم، ولايضيع فرحه بامراره في غربال الميتافيزيق الدقيق، حين يكون سعيداً.

رواية جميلة كلما قرأتها يزيد قلبك اتساعا، تسلك من خلالها أقصر الطرق لمعرفة الحياة بعيدًا عن صخب النظريات وفلسفة المثقفين وايديولوجيات المفكرين، صاغها كازانتزاكس بقلبه النابض وبفكره المنتمي للبسطاء من بني البشر.

لماذا أزهار الخشخاش جميلة؟

سوسن حسن

هل تساءلت يومًا لماذا تجد هذا الشيء جميلاً أو هذا الشخص وسيماً ؟ ما هو الجميل وما هو مضاده؟ ما هو معيار الجمال لدينا ومن يحدده؟. أنا على سبيل المثال أجد أشياء كثيرة جميلة: أحبّ غروب الشمس، وأرى جميلا دمج الألوان في ملابسي، سكون الليل يسحرني، وتستحوذ انتباهي كل أنواع الأزهار. شعور الجمال عالمي ومتعارف عليه، لكن من أين يأتي هذا الشعور؟ ما الذي يجعلنا نحدد بأن هذه اللوحة رائعة وبأن الأخرى متنافية مع مفهوم الجمال؟

منذ وقت طويل، حاول علماء الرياضيات الاجابة على هذا السؤال. قبل 2300 سنة، تساءل اقليدس عن النسب المثالية وحددها وفق معادلات رياضية دقيقة أسفرت عن إطلاق مفهوم المثالية. خلال عصر النهضة، سعى الراهب الإيطالي لوكا باجيولي إلى تطبيق مبادئ إقليدس على الفن والمجالات الأخرى وخرج من النسب المثالية إلى الإلهية. لماذا الإلهية؟ لأن هذه النسب موجودة في الطبيعة أساساً، أي أن النسب التي حددها اقليدس مستوحاة من الطبيعة ونجدها على وجه الأساس في الزهور، في عدد بتلاتها وتناسقها، والتفاوت المناسب في الطول، حيث يثير التنظيم الحلزوني للزهرة في اتجاه أو في آخر شعوراً جمالياً لدى الإنسان.

تدخل فكرة النسب الدقيقة في النظرية الجمالية، بيد أن ليوناردو دافنشي وظّفها في عمله "فيتروفيان مان"، ذات الخطوط التي تدمج بين الرياضيات والانسان، إلا أنه بوسع أي انسان مناقضة فكرة ارتباط الدقة بالجمال لمجرد وجود أشياء لا تملك نسباً متساوية، ومع ذلك تعتبر في غاية الجمال. أزهار الخشخاش أحد تلك الأمثلة، اذ لا تملك بتلاتها نسب متساوية وهي مع ذلك مرتكزة في العقل الباطن لكل انسان رآها، عدا أنها أزهار فاتنة جداً. دعونا نتوقف للحظة ونرجع للوراء قليلاً... لماذا نعتبر الزهور جميلة في كل الأحوال؟ ما هي علاقة الزهور بالجمال.

يقول أحد العلماء بأن الطبيعة ترسل لنا اشارات. الجمال هو الذهاب نحو ما هو جيد لنا، ما يعطينا الصحة.وما يفيدنا. هذه الوردة جميلة لأنها متكيفة مع بيئتها، تظهر الصحة، والخصوبة. تمّ تأكيد هذه الفكرة كذلك في الفن الروسي: اللوحة الجيدة هي التي تمثل احتياجاتنا الانسانية: سماء زرقاء، ماء، ملاذ، مخابئ، بشر، حيوانات. قد نجد جميلاً كذلك ما هو غير منظم: قطعة أرض شاغرة، موقع بناء، مكب نفايات يحتوي على الكثير من الألوان. الحقيقة هي أننا نميل إلى فكرة الإنسجام ومضادها في آن. اعتمادًا على الشخصية، فإن إيجاد الانسجام أو عكسه يمكن أن يبعث في نفوسنا المتعة.

كيف نجد بعض الأشياء جميلة وغيرها قبيح؟ الدماغ البشري معقد للغاية. يفتح الباب على الجمال، فالسرور بفضل هرمون الدوبامين المرتبط ارتباطًا مباشرًا بمشاعرنا ورغباتنا وشعورنا بالرضا. يعمل الدماغ كمنمنمة صغيرة في الكون. المدهش هو أننا قادرون على إنشاء صور ذهنية ديناميكية داخل أدمغتنا تسمح لنا ببناء صورة للعالم. نحن قادرون على بناء واقع افتراضي في الدماغ. عندما يلتقي هذا الواقع بالواقع الحقيقي، فإننا نخلق شعور بالرضا يتوافق مع الشعور بالجمال، وكأننا نشبع رغبة عطشى.

هذا هو السبب في عدم تقدير الأعمال الفنية بنفس الطريقة لأن توقعاتنا تختلف باختلاف تجربتنا ووقتنا وأذواقنا ومعرفتنا. كل حضارة لها معاييرها الخاصة. في الماضي كان البيض ينفرون من ذوي البشرة السوداء ويستعبدونهم، والآن يتنافس البيض على شراء مستحضرات تسمير البشرة. هناك العديد من الأمثلة على تطور مفهوم الجمال. من الممكن أن أرى انساناً عادياً وأحكم عليه بعدم الجمال، ثم أتعمق في روحه لاحقاً لأراه في منتهى الجمال وأرى هذا الجمال ينعكس على الخارج.

هذه الفكرة تتطابق مع الطعام. من العادي جداً أن أرى طبق بشكل منفر ومقرف، ولكن لو أغمضت عيني واستطعمته، قد أراه في منتهى اللذة، فأتعود على شكله وأراه جميلاً. من الواضح أن الجمال يتوافق مع التوقعات التي يجب أن نلبيها، توقعًا خاصًا يتوافق مع ثقافتي، مع وقتي. عندما يتحقق هذا التوقع، يمكنني أن أجد ما هو أمامي جميلًا. ما هو التوقع الذي يمكن أن يكون لديّ ازاء أزهار الخشخاش؟ ارتباطها بفصل الصيف!

لقـــد فضـــح جهلـــه!

ترجمة:
الأستاذ الدكتور
نعمان الموسوي

جاء الابن كونستانتين إيفانوفيتش إلى المرأة العجوز أغافيا جورافلوفا. مع زوجته وابنتهما. من أجل الزيارة والاسترخاء. إن قرية نوفايا هي قرية صغيرة، وقد وصل كونستانتين إيفانوفيتش في سيارة أجرة، وأمضي جميع أفراد العائلة وقتا طويلا في إخراج الحقائب من صندوق السيارة ... وعلى الفور انتشر النبأ في القرية بأكملها: «جاء لزيارة أغافيا ابنها مع عائلته، الابن الأوسط كوستيا، وهو ثري وعالم».

وبحلول المساء، علم الجميع تفاصيل النبأ: الابن نفسه دكتور، وزوجته أيضا، وابنتهما تلميذة. أحضرت العائلة لأغافيا إبريقا كهربائيا (سماوار)، وثوبا مطرّزا بألوان جميلة، وملاعق خشبية.

وفي المساء، تجمّع الرجال في سقيفة غليب كابوستين. في انتظار غليب.

من الضروري أن نتحدث عن غليب كابوستين لكي نفهم سبب تجمع الفلاحين في سقيفته وماذا كانوا ينتظرون.

غليب كابوستين هو رجل أشقر سميك الشفتيّن في الأربعين من عمره، وواسع الإطلاع وساخر. وشاءت الصدف أن تكون قرية نوفايا، رغم صغر مساحتها، قد أنجبت عددا من المشاهير البارزين: عقيدا واحدا، وطياريّن، وطبيبا، ومراسلا ... والآن أصبح كونستانتين جورافلوف حاملا لشهادة الدكتوراة.

وقد جرت العادة أنه عندما يأتي المشاهير والوجهاء في زيارة إلى القرية، يحتشد الناس في المساء في كوخ أحد أبناء القرية المشهورين، ويستمعون إلى بعض القصص الرائعة أو يحكون حكاياتهم بأنفسهم، حينما يبدي الزائر رغبة في سماعها، ويأتي غليب كابوستين ليعرّيه ويفضح جهله أمام الملأ. كان الكثيرون غير راضين عن هذا التصرّف، لكن الكثيرين، وبالذات الفلاحين، كانوا ينتظرون فقط تلك اللحظة التي يقوم فيها غليب كابوستين بفضح الضيف أمام أعينهم. ولم يكونوا ينتظرون فحسب، بل كانوا يذهبون في وقت مبكر إلى غليب، ثم يتوجهون معه إلى الضيف، وكأنهم سائرون لمشاهدة عرض مسرحي شيق. ففي العام الماضي، أربك غليب عقيدا بطريقة تتميز بالبراعة والجمال. بدأوا الحديث عن حرب عام 1812 ... واتضح أن العقيد لم يكن يعرف منْ أمَرَ بإشعال الحريق المُتعمد في موسكو. أيّ أنه كان يعلم أن هذا الشخص كان برتبة كونت، لكنه أخطأ عند ذكر اسم عائلته قائلا: «راسبوتين». حينئذ حلّق غليب كابوستين فوق العقيد كالطائرة الورقية ... وفضح جهله. كان الجميع قلقين حينها، كان العقيد يصبّ اللعنات ... وهرولوا إلى منزل المعلمة في القرية لكي يعرفوا اسم الكونت الذي أشعل الحريق. جلس غليب كابوستين مُتوهجا في انتظار اللحظة الحاسمة، وكان فقط يردِّد قائلا: «إهدأ، إهدأ أيها الرفيق العقيد، نحن لسنا في ساحة المعركة، أليس كذلك؟». ظل غليب هو الفائز. وضرب العقيد بقبضته على رأسه، وكان يخامره شعور بالحيرة والارتباك. لقد كان منزعجا للغاية. وبعد ذلك، ولفترة طويلة، تحدث أهل القرية عن غليب، وتذكروا كيف كان فقط يردِّد قائلا: «إهدأ، إهدأ أيها الرفيق العقيد، نحن لسنا في ساحة المعركة». لقد اندهش الجميع من غليب. وأظهر كبار السن اهتماما خاصا بما دفعه ليتفوّه بذلك.

ضحك غليب. وبطريقة ما، حدّق بعينيه العنيدتيّن كمن يستثير شهية الانتقام. لقد كانت كل أمهات المشاهير في القرية يكرهن غليب. وكنّ متوجّسات منه. والآن حلّ الدكتور جورافلوف ضيفا على القرية ...

عاد غليب من العمل – كان يعمل في منشرة القرية –، واغتسل، وغيّر ملابسه ... لم يكن يتناول العشاء، وخرج إلى السقيفة للقاء الفلاحين.

أشعل القوم السجائر ... وتحدثوا قليلا عن هذا وذاك، وتعمّدوا عدم التطرّق لجورافلوف. ثم نظر غليب عدة مرات في اتجاه كوخ الجدة أغافيا جورافلوفا، وسأل:

– هل جاء الضيوف إلى الجدّة أغافيا؟

– الدكتور وزوجته الدكتورة!

– الدكاترة؟ فوجئ غليب، أوه ، أوه! .. لا يمكن كشف أمرهم بسهولة.

ضحك القوم وخطرت في ذهنهم فكرة: هناك منْ لن يتمكن من كشف أمرهم، ومنْ سيتمكن. ونظروا بفارغ الصبر إلى غليب.

– حسنا، دعونا نذهب لرؤية الدكتور وزوجته، قالها غليب متواضعا.

وذهبوا.

سار غليب متقدما قليلا على الآخرين، سار بهدوء، ويداه في جيوبه، وكان يحدِّق في كوخ الجدة أغافيا، حيث يوجد الدكاترة الآن. وقد تبيّن أن الفلاحين كانوا، في الواقع، هم منْ يقودون غليب. هذه هي الطريقة التي يتم بها قيادة مقاتل متمرس عندما يُعرف أن مهرجا جديدا محددا قد ظهر على أرض العدو.

وفي الطريق لم يتحدثوا إلا قليلا.

– دكاترة في أي مجال؟ – سأل غليب.

– في أيّ تخصص؟ لا أحد يعرف ... قالت لي المرأة العجوز – إن كلا منهما يحمل شهادة الدكتوراة. الدكتور . . وزوجته أيضا ...

– هناك دكاترة في مجال العلوم التقنية، وفي مجال التعليم العام، وهذان يشتغلان بشكل أساسي في علم الثرثرة الفارغة.

– كان كوستيا طالبا متفوقا بشكل عام في الرياضيات – تذكّر شخص درس مع كوستيا في نفس المدرسة، وكان يحصل على أعلى العلامات في هذه المادة.

كان غليب كابوستين في الأصل من مواليد قرية مجاورة، ولم يكن يعرف سوى القليل من المشاهير والوجهاء من أبناء القرية.

– سنرى، سنرى، قدّم غليب وعدا غامضا للقوم، هناك الآن دكاترة بكل الأوصاف.

– لقد وصل في سيارة أجرة ...

– حسنا، يجب علينا دعم العلامة التجارية! ... – قهقه غليب ساخرا.

استقبل الدكتور كونستانتين إيفانوفيتش الضيوف مسرورا، وأبدى توجسّا بشأن طاولة الطعام ... انتظر الضيوف بتواضع جم حتى أعدت الجدة أغافيا الطاولة، وتحدثوا مع الدكتور، وتذكروا كيف عاشوا معا أيام الطفولة ...

– أوه، الطفولة، الطفولة! تمتم الدكتور، حسنا، إجلسوا إلى الطاولة، أيها الأصدقاء.

– جلس الجميع إلى الطاولة. وجلس غليب كابوستين. لقد التزم الصمت حتى هذه اللحظة. ولكن – كان واضحا – أنه كان يقترب من القفزة. ابتسم، ووافق أيضا على ما قيل عن أيام الطفولة، بينما ظل ينظر إلى الدكتور جورافلوف – ويقارن نفسه به. سارت المحادثة خلف الطاولة على نحو أكثر ودية، وصار القوم وكأنهم – نوعا ما – نسوا أمر غليب كابوستين ... وحينئذ، التقط غليب خيوط الحديث وانقضّ على الدكتور مُتسائلا:

– في أي مجال تُقدِّم نفسك؟ سأل غليب.

– تقصد أين أعمل أم ماذا؟ لم يفهم الدكتور القصد.

– نعم.

– في كلية اللغات والآداب.

قصة للكاتب الروسي:
فاسيلي شوكشين

– الفلسفة؟
– ليس تماما ... حسنا، يمكنك أن تقول ذلك.
– شيء ضروري – كان غليب بحاجة إلى أن تكون مادة الاختصاص هي الفلسفة. شعر بالحيوية والنشاط. حسنا، ماذا عن الأولويّة؟
– أي أولويّة؟ مرة أخرى، لم يفهم الدكتور القصد. وحدّق في وجه غليب. ونظر القوم إلى غليب.
– أولوية الروح والمادة. أسقط غليب القفاز. أصبح غليب في وضعية الضيف الثقيل، وانتظر حتى يرفعون القفاز. رفع الدكتور القفاز.
– كما هو الحال دائما – أجاب مبتسما – الأولوية للمادة ....
– وماذا عن الروح؟
– والروح – تحلّ في المرتبة الثانية. ثم ماذا؟
– هل هذا ضمن محتوى الامتحان المطلوب للحصول على الدكتوراة؟ ابتسم غليب أيضا. أرجو المعذرة، نحن هنا ... نريد أن نتحدث بعيدا عن المراكز المجتمعية، لكنك لن تفقد التركيز بوجه خاص، مع أي أحد. كيف تعرِّف الفلسفة الآن مفهوم انعدام الوزن؟
– كما حدّدتهُ دائما. لماذا الآن؟
– لكن هذه الظاهرة اكتُشفت مؤخرا فقط. ابتسم غليب مُحدقا في عيون الدكتور. ولهذا السبب أنا أسألك. الفلسفة الطبيعية، على سبيل المثال، تُعرّفها بطريقة ما، أما الفلسفة الإستراتيجية – فتُعرفها بشكل مختلف تماما ...
– لا توجد فلسفة كهذه – إستراتيجية! كان الدكتور متحمسا، ما الذي تتحدث أنت عنه؟
– نعم، ولكن هناك ديالكتيك الطبيعة، تابع غليب بهدوء، في ظل اهتمام الفلاحين. إن الفلسفة تُحدد الطبيعة. وقد تم اكتشاف انعدام الوزن مؤخرا كأحد عناصر الطبيعة. ولهذا فأنا أسألك: ألا يُلاحَظ استبداد الحيرة بين الفلاسفة؟
ضحك الدكتور بحرارة. لكنه ضحك لوحده ... وشعر بالحرج. نادى زوجته:
– فاليا، هيا هنا، نحن نجري حديثا يتسم – إلى حد ما – بالغرابة!.
اقتربت فاليا من الطاولة، لكن الدكتور كونستانتين إيفانوفيتش ما زال يشعر بالحرج والضيق، لأن الفلاحين صوّبوا أبصارهم إليه وانتظروا كيف سيُجيب عن السؤال.
– دعونا نحدِّد في البداية ما نحن بصدد الحديث عنه، بدأ الدكتور الحديث بجديّة.
– طيب. السؤال الثاني: ماذا تشعر شخصيا تجاه مشكلة الشامانية (الطب التقليدي – المُترجم) السائدة في مناطق معينة من شمال سيبيريا؟
– ضحك الدكتور وزوجته. كما ابتسم غليب كابوستين. وانتظر بصبر حتى ينتهي الدكاترة من الضحك.
– لا، يمكنك، بالطبع، التظاهر بعدم وجود مثل هذه المشكلة. وكنت سأضحك معكما أيضا بكل سرور .... رسم غليب مرة أخرى ابتسامة عريضة على وجهه. وابتسم بشكل خاص وهو يحدق في وجه زوجة الدكتور، الدكتورة أيضا، إن جاز التعبير. لكن هذا لا يعني أن المشكلة غير موجودة. أليس كذلك؟
– هل أنت جاد في قولك هذا؟ سألت فاليا.
– بعد إذنك. وقف غليب كابوستين وانحنى أمام الدكتورة. واحمرّ وجهه خجلا. السؤال،
بالطبع، ليس عالميا، ولكن من وجهة نظر أخينا، سيكون مثيرا للاهتمام معرفة إجابته.
– عن أي سؤال تتحدث؟ صاح الدكتور.
– عن موقفك من مشكلة الشامانية. ضحكت فاليا مرة أخرى بصورة عفوية، لكنها تحاملت على نفسها وقالت لغليب: أعذرني من فضلك.
– لا يهم، قال غليب، أفهم أنني ربما سألتُ سؤالا لا يقع ضمن نطاق اختصاصكما.
– لا توجد هذه المشكلة أصلا! قال الدكتور جزافا مرة أخرى. إنه يسعى عبثا. لا ينبغي أن يفعل ذلك.
حينئذ ضحك غليب قائلا:
– حسنا، لا توجد مشكلة باستثناء المشكلات الموجودة أصلا!
نظر الفلاحون إلى الدكتور.
– يشعر المرء بارتياح أكبر حينما تقل المشاكل، قال غليب أيضا، لا توجد مشاكل، لكن هؤلاء ...، وأظهر غليب حركة مُبتكرة بيديه، هاهم يرقصون، يقرعون الأجراس ... أليس كذلك؟. ولكنك لو رغبت ... لو رغبت، كرّر غليب، فسيبدو الأمر وكأنهم غير موجودين أصلا. أليس كذلك؟ لأنه لو كانوا ... حسنا! سأطرح عليك سؤالا آخر: ما شعورك حيال حقيقة أن القمر هو أيضا من صنيع العقل؟
نظر الدكتور صامتا إلى غليب. لكن غليب تابع قائلا:
– لقد طرح العلماء فرضية مفادها أن «القمر يقع في مدار اصطناعي، ومن المفترض أن هناك كائنات ذكية تسكن في الداخل ... ».
– حسنا؟ سأل الدكتور، ثم ماذا؟
– أين حساباتك التي أعددتها أنت للمسارات الطبيعية؟ أين يمكننا، بشكل عام، تطبيق جميع علوم الفضاء؟ استمع الرجال باهتمام إلى غليب.
– لو افترضنا أن البشرية ستقوم أكثر فأكثر بزيارة جيراننا في الفضاء، إن جاز التعبير، فيمكننا أيضا أن نفترض أنه – في لحظة ما – لن تتوقف الكائنات الذكية عن الحركة، وستزحف للقائنا وجها لوجه. فهل نحن مستعدون لكي نفهم بعضنا البعض؟
– لمَنْ توجِّه أنت سؤالك؟
– لكم أيها المفكرين ...
– وهل أنت شخصيا جاهز للإجابة عنه؟
– نحن لسنا مُفكرين، والراتب الذي نتقاضاه مختلف. ولكن إن كان هذا الأمر يهمك فعلا، فيمكنني إطلاعك على طريقة تفكيرنا نحن أهل الريف. لنفترض أن مخلوقا ذكيا زحف إلى سطح القمر ... ماذا يجب أن تفعل؟ هل تنبح مثل الكلب؟ تغني مثل الديك؟
ضحك الفلاحون. ودبّت حركة في أوساطهم. ومرة أخرى رمقوا وجه غليب باهتمام بارز.
– لكننا ما زلنا بحاجة إلى أن نفهم بعضنا البعض. أليس كذلك؟ كيف؟ صمت غليب وعلى وجهه علامة استفهام. نظر إلى الجميع قائلا: أقترح ما يلي: أرسمُ مخططا للمنظومة الشمسية على الرمال، وأبينُ له أنني من سكان الأرض، كما يُقال. وأنه، خلافا للحقيقة بأنني أرتدي بدلة رائد فضاء، إلا أنني أمتلك رأسا وأنا أيضا مخلوق ذكي. ولتأكيد ذلك، يمكنني أن أوضح له على الرسم البياني من أين هو: أشيرُ أنا إلى مكان القمر، ثم إلى مكانه. هل هذا منطقي؟ وهكذا اكتشفنا أننا جيران. ولكن لا أكثر! وفوق ذلك، يجب أن أشرح قوانين التطوّر التي خضعتَ أنا لها قبل أن أصبحُ ما أنا عليه في هذه المرحلة ...
– حسنا حسنا. تحرك الدكتور ورمق زوجته بنظرة ذات مغزى. هذا الأمر مثير جدا للاهتمام: وفق أي قوانين؟
كان تصرّفه هذا هو الآخر عبثا، لأن نظرته الفاحصة قد التُقطتْ؛ بينما حلّق غليب إلى الأعالي ... ومن هناك، من أعلى القمة، وجّه ضربة للدكتور. وفي كل مرة في المحادثات مع المشاهير في القرية، حلّت هذه اللحظة، عندما كان غليب يرتفع عاليا. ربما كان ينتظر هذه اللحظة، يبتهج بها، لأن كل ما يليها كان يحدث من تلقاء نفسه.
– هل تريد أن تدعو زوجتك للضحك؟ سألهُ غليب. سأل بهدوء، ولكن ربما كان كل عضو فيه يقشعر. إنه لأمر مفيد ... لكن ربما سنتعلم أولا قراءة الجرائد، على الأقل، أليس كذلك؟ ها؟ ماذا تعتقد؟ يُقال أنه لا بأس على الدكاترة أيضا أن يفعلوا ذلك...
– اسمع! ..
– نعم، لقد استمعنا! وحصلنا، إن جاز القول، على متعة الاستماع. ولذلك، دعني أخبرك، أيها السيد الدكتور، أن الدكتوراة ليست بدلة تشتريها مرة واحدة وإلى الأبد. فحتى البدلة تحتاج إلى التنظيف أحيانا. والدكتوراة، إذا كنا قد اتفقنا بالفعل على أن هذه ليست بدلة، فلا بد من إسنادها.
تحدث غليب بهدوء، ولكن بحزم ودون انقطاع، وكان منفعلا. كان التحديق في وجه الدكتور أمرا مُحرجا: من الواضح أنه كان في حيرة من أمره، حيث كان ينظر إلى زوجته أولا، ثم إلى غليب، ثم إلى الفلاحين ... حاول الفلاحون عدم النظر إليه. يمكنك، بالطبع، مفاجأتنا هنا: أن تركب سيارة أجرة إلى المنزل، وأن تسحب خمس حقائب من صندوق السيارة ... لكنك نسيت أن المعلومات المتدفقة تنتشر الآن بصورة

متساوية في كل مكان. أريد أن أقول لك أنه يمكنك أن تُفاجأ هنا بعكس توقعاتك. يحدث مثل ذلك أيضا. يمكن للمرء أن يأمل أن الناس هنا لم يلتقوا حملة الدكتوراة وجها لوجه، لكنهم التقوا هنا: دكاترة وأساتذة وعقداء. واحتفظوا بذكريات جميلة عنهم، لأنهم، من حيث المبدأ، أناس بسطاء للغاية. ولهذا فإن نصيحتي لك، أيها الرفيق الدكتور: إنزل إلى الأرض أكثر. فلعمري ثمة بداية منطقية في هذا. نعم، ولا توجد مخاطرة كبيرة: لن يؤذيك السقوط كثيرا.

– «دَحْرجَ البرميل» – هكذا يُطلق على هذا الموقف، قال الدكتور. هل كسرتَ أنت السلسلة؟ ما الأمر في الواقع ...

قاطعه غليب على عجل قائلا: لا أعلم، لا أعلم، لا أعلم ماذا يُطلق على هذا الموقف، لم أكن في السجن ولم أكسر السلسلة. لم عساني أن أفعل ذلك؟ هنا، نظر غليب إلى الفلاحين، لم يدخل السجن أحد منهم، لن يفهموا. ولكن زوجتك أبدت هنا نظرات تنم عن المفاجأة... وهناك ستسمع الحديث ابنتك. سوف تسمعه، وسوف «تُدحرج برميلا» في موسكو على شخص ما. لذلك قد تنتهي هذه الرطانة بصورة غير محمودة، أيها الرفيق الدكتور. أؤكد لك أنه ليست كل الوسائل مفيدة، ليس كلها. فعندما تقدّمت أنت للامتحان المطلوب للحصول على شهادة الدكتوراة، لم «تُدحرج برميلا» على الأستاذ المُمتحِن. أليس كذلك؟ نهض غليب.

ولمْ تفعل ذلك بنفسك. ونحن لم نتحدث بعبارات مخالفة للقانون. لأنه يجب احترام الأساتذة – فهم يحددون مصير الأمة، فالمصير لا نحدّده نحن، ويمكنك التحدّث بعبارات مخالفة للقانون معنا. أليس كذلك؟ ولكن بلا جدوى. نحن هنا أيضا «نفهم شيئا ما» ... ونقرأ الجرائد أيضا، ويحدث أيضا أننا نقرأ الكتب ... وحتى نشاهد التلفزيون. ويمكنك أن تتخيل أننا لا نشعر بعاصفة من البهجة حينما نشاهد الأعمال الكوميدية المُسلية، كمسلسل «13 كرسيا». هل تسألني ما السبب؟ لأن هناك الغطرسة ذاتها. لا يهم، كما يقال، سوف يضايقك الجميع. إنهم يضايقونك، بالطبع، وليس بيدك حيلة. حسبك ألا تتظاهر بأنهم كلهم هناك عباقرة. هناك منْ يفهم... ومن الضروري أن يكون المرء أكثر تواضعا.

قال الدكتور مخاطبا زوجته: إنه مجرّد ديماغوجي مُخادع، ألفَ الإفتراء. إنها القائمة الكاملة من الصفات هنا ...

– لم تُصبْ الهدف. فطوال حياتي، لم أكتب خطابا مجهولا ولم أفترِ على أحد ولم أكتب ضد أحد. نظر غليب إلى الفلاحين: كان الفلاحون يعلمون أن غليب يتحدث بصدق. ليس هذا هو لبّ الحديث أيها الرفيق الدكتور. هل تريد مني أن أوضح ميزتي؟

– نعم، تفضّل أفصح.

– أحب أن أحذّر الناس: لا تكونوا طائشين! كونوا أكثر تواضعا، أيها الرفاق الأعزاء ...

– وفي أي جانب لمست طيشنا؟ لم تستطع فاليا تحمّل هجومه. أين وجدتَ طيشنا؟

– عندما تكونان لوحدكما، تأمّلا بعمق. تأمّلا، وسوف تفهمان. كاد غليب ينظر إلى الدكتور وزوجته بمسحة من الشفقة. ففي النهاية، يمكنك أن تكرر كلمة «عسل» في كلامك مائة مرة، ولكن هذا لن يجعل فمك حلوا. ولست بحاجة في الواقع إلى اجتياز الامتحانات المطلوبة لشهادة الدكتوراة لكي تفهم ذلك. أليس كذلك؟ ويمكنك أيضا كتابة كلمة «الناس» مئات المرات في جميع المقالات، لكن هذا لن يزيد من حجم المعرفة. فعندما تحلّ ضيفا بالفعل على هؤلاء الناس بالذات، فاحرص على جمع المزيد من المعلومات. وحضِّر نفسك بصورة أفضل، أليس كذلك؟ وإلا فمن السهل أن تجد نفسك في وضع سخيف. مع السلامة. أتمنى لكما عطلة سعيدة ... تقضيانها وسط «الناس».

ابتسم غليب وغادر الكوخ ببطء. كان دائما يترك مشاهير القوم لوحده وينسحب.

ولم يسمع كيف قال الفلاحون بعد رحيله، وهم ينصرفون عن الدكاترة:

– لقد فضح جهله! .. هذا الكلب المحنّك، أنّى له أن يعرف عن القمر؟

– لقد جعله يرتبك وكشف أمره.

– ما هو الشيء وما مصدره!

وهزّ الرجال رؤوسهم بدهشة:

– إنه مسعور محنّك. روّض المسكين كونستانتين إيفانوفيتش ... أليس كذلك؟ روّضه كما لو كان طفلا صغيرا! وهذه، فاليا، لم تجرؤ أن تفتح فمها حتى بكلمة.

– ما عسى المرء أن يقول؟ لا شيء. إنه، كوستيا، أراد، بالطبع، أن يقول شيئا ... وكلما تفوّه المسكين بكلمة، ردّ عليه غليب بخمس كلمات.

– ما الخطأ في ذلك ... إنه مسعور ذكي!

يستطيع المرء أن يلمس، في أصوات الفلاحين، مشاعر الشفقة والتعاطف مع الدكتور وزوجته. كان غليب كابوستين دائما يفجر المفاجئات كما في الأيام الخوالي. كان مُذهلا. مُبهرا. مُثيرا للدهشة. رغم أن الحب، لنقل، لم يكن حاضرا. لا، لم يظهر حب في ذلك المكان. فغليب رجل قاسي، والقسوة لم يحبها أحد، في أي وقت مضى، وفي أي مكان.

غدا، بعد أن يأتي غليب كابوستين إلى العمل، سيرتجل الحديث وسيسأل الفلاحين:

– «حسنا، كيف حال الدكتور؟» ويبتسم.

سيقولون لغليب: «لقد أربكتهُ أنت وفضحتَ جهله».

وسيقول غليب بلفتة الرجل الشهم: «لا يهم، إنه أمر مفيد. دعه يتأمل في وقت فراغه، وإلاّ فهم لطالما يبالغون في تقدير أنفسهم وقدراتهم وإمكاناتهم . . . . ».

نبذة عن الكاتب

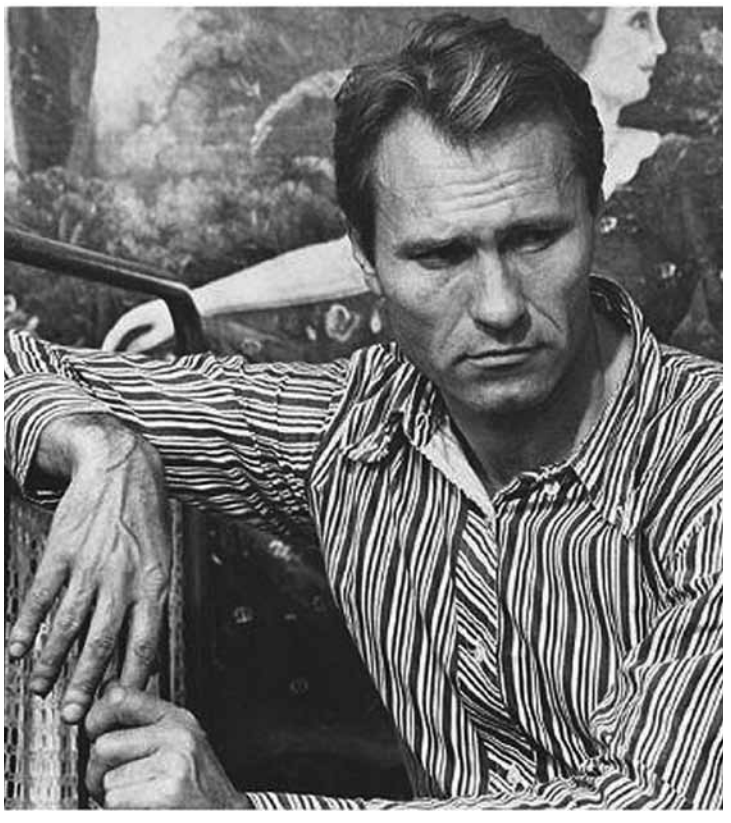

فاسيلي ماكاروفيتش شوكشين (1929–1974) – كاتب وأديب وممثل ومخرج سينمائي. وُلد بالإتحاد السوفيتي، في قرية سروتسكي بمقاطعة فولجوجراد بجمهورية روسيا، وحاز على جائزة لينين (1976) وجائزة الدولة السوفيتية (1971)، ولقب الجدارة في الفنون في روسيا (1969)، وكان عضواً في الحزب الشيوعي السوفيتي (1955).

إن أبطال قصص شوكشين وكتبه وأفلامه هم أبناء الشعب الروسي في القرية السوفيتية، وفي طليعتهم العمال والكادحون البسطاء الذين يتميزون بشخصياتهم الغريبة وأطباعهم الحادة، حيث تمكّن شوكشين أن يقدم في أعمال الأدبية وصفا موجزاً وواسعاً للقرية الروسية، وتتميز أعماله بمعرفة عميقة باللغة وتفاصيل الحياة اليومية والمشاكل الأخلاقية العميقة بالمجتمع الروسي، وبالالتزام الصادق بالقيم الوطنية الروسية والعالمية.

واحة الفكر

تحدّيات أمام اليسار

هشام عقيل

اعتدنا في (واحة الفكر)، وفي أمكانٍ أخرى كذلك، على نشر مقالاتٍ مترجمةٍ تخصّ كلاسيكيّات الفكر الماركسي، وذلك لنشرٍ وعيٍ عامٍ للبّ الحقيقي الذي يحمله هذا الفكر. هناك قراءٌ وجدوا ما يفيدهم في هذه المنشورات، وما يُصقل وعيهم، وما يعيد تذكيرهم بما تعلموه في الماضي. لكن الحق يقال، ولا سبيل لنا سوى قول الحق، إن العدد القليل ممن استفادوا ليس لهم القدرة، حالهم حال كاتب هذا المقال، على إحداث أيّ تغييرٍ عامٍ في توجّهات اليسار البحريني عموماً.

سأكون منصفاً إن قلت، باسم هذه الأقلية، إننا نرى أن هذه الكتابات، مهما لها سلطةٌ نظرية، ليست قادرةً على نزع الغشاوة من على أبصار غالبية اليسار. فلو ملأتْ كُلّ هذه الكتابات الصحف والمواقع، ليلاً نهاراً، ولو قرّر أصحابنا الاستغناء عن حياتهم اليومية، والاعتكاف على قراءة تلك الكتابات، لبقوا على ما يرون. لعمري، لو قرّر التاريخ أن يبعث ماركس، وانغلز، ولينين عليهم، لبقوا على نفس الحال.

لا بأس! عربةُ التاريخ انطلقت، ليلحقها مَن له قدمان، ومَن لا تسعفه قدماه ليستلف قدمين، ومَن لا يقوى على الحركة ليعلم أن العربة لن تنتظره أبداً.

فليقرأ مَن له عينان.

1- ما يُعرف عادةً بالماركسية (لا نعني الفكر الماركسي، بقدر ما أن الخلدونية لا تعني الفكر الخلدوني)، أي تلك المنظومة النظرية التي من المفترض أنها قد تُمّمت منذ القرن التاسع عشر، هي وهمٌ ابتكره «الماركسيون» أنفسهم.

ما هو موجود فعلاً هو علم عمران نمط الإنتاج وتاريخه، أو باختصار علم العمران.

قام ماركس وانغلز باكتشاف نظريةٍ علميةٍ لم يتسنَ لهما إتمامها أبداً. هذه النظرية هي علم التاريخ؛ علمٌ موضوعه نمط الإنتاج. أول مَن دشن هذا العلم هو ابن خلدون، إذ موضع العمران، أي الإنتاج (وليس الحضارة، كما يظن الكثيرون)، كموضوع علم التاريخ. لكن لم يتسنَ لابن خلدون، لأسبابٍ كثيرةٍ لا يُمكننا الخوض فيها الآن، إتمام تدشينه ولاً تحقيق اكتشافه.

أما ماركس وانغلز فهما حقّقا هذا العلم، وحدّدا أن نمط الإنتاج (وليس الإنتاج فحسب) هو موضوع دراسة علم التاريخ. طبّقا اكتشاف علمهما على نمط الإنتاج الرأسمالي، وتمكّنا من استنباط قوانينه العامة، وتمكّنا من قيادة طفرةٍ علميةٍ في مجال النظرية التاريخية عموماً من دونَ أن يخطّا نظريةً عامةً لنظرية نمط الإنتاج.

بعد ماركس وانغلز، تمكّن لينين من تنظير مفهوم الامبريالية، وبذلك أضاف إضافةً علميةً على هذا العلم، من دون أن يكمل أحدٌ أسس هذه النظرية. تمكّنت كُلّ «مذاهب الماركسية» من تصوير تلك النظرية العلمية كما لو كانت فكرةً جاهزةً تنتظر التطبيق لا أكثر ولا أقل. وفي مرحلة ثورة التحرر الوطني، لم تتمكّن هذه المذاهب، رغم غنى محتوياتها النظرية عند بعضها (مثل إضافات ماو تسه تونغ)، من ابتكار نظريةٍ علميةٍ للتبعية .

حين درسنا التبعية، استنبطنا قوانين نمط الإنتاج الكولونيالي، وعبر هذه القوانين اكتشفنا حلقةً مفقودةً من علم التاريخ ككلّ، شيئاً لم يأتِ على ذكره مؤسسو هذه النظرية، أي نظرية اقترانِ الأنماط الإنتاجية. أدّى هذا الاكتشاف إلى استنباط أسس اقتران الأنماط الإنتاجية، وقدرتها على التعمير، فصار العمران بالنسبة إلينا يُشير إلى بنية المقدرة الإنتاجية في نمط الإنتاج نفسه، وهذا هو هو موضوع علم التاريخ حسب تفسيرنا، أي علم العمران.

هكذا كان طريق تطوّر علم العمران.

2- كُلّ الأحزاب الشيوعية التقليدية، ومعها تلك الأحزاب والأشخاص الذين ينتمون إلى اشتراكيات القرن العشرين، أصبحت تمثّل الاشتراكية الطوباوية الحديثة. الاشتراكية العلمية الحديثة هي تآلفية، ولا يُمكنها أن تتطابق وتتساوي مع الاشتراكية الطوباوية. كُلّها أصبحت عاجزةً أمام واقع اليوم، وأكدّت على هذه الحقيقة حادثتان: جائحة كورونا (2020) والحرب في أوكرانيا (2022).

فليقرأ مَن له عينان.

يمكننا الحديث عن (نهاية اليسار التقليدي)، ونحن نعني ذلك بالمعنى الكامل للكلمة. لا نُشير إلى السقوط المزعوم للاشتراكية، وبالتالي إمكانية بعث اليسار كما كان عليه في وضعه السابق؛ لو كان الأمر باليد لأرجعنا، لأرجعتم، الحياة إليه، لكن لا حياة لمَن فقدها. الطريقة الوحيدة التي يُمكن للاشتراكية عبرها أن تكون علماً اليوم هي أن تستند إلى علم العمران كما ذكرناه آنفاً. هكذا، في استنادها هذا، تكتشف أن عليها أن تكون تآلفيةً، أي تقوم على اقترانٍ ذي علاقاتٍ تآلفيةٍ للنمط الإنتاجي الشيوعي. إنه نمطٌ إنتاجي يعيّنُ المؤتلفَ كمالكٍ للوسائل الإنتاجية الاجتماعية، وهو نمطٌ يخلو منْ طبقات، ومؤسسات الدولة (من ضمنها الديموقراطية البرلمانية)، ونظام مالي وسلعي، واستغلالٍ سياسي، وآيديولوجي، واقتصادي.

لنرسم الخطوط الفاصلة بين التآلفية (تلك الاشتراكية العلمية الحقيقية) وشكلٍ من أشكال الاشتراكية الطوباوية، أي النكوصية.

النكوصية هي سمة اليسار التقليدي المنهار، يسارٌ قد فقد ظرفه التاريخي الذي شكّله، يسارٌ تائهٌ في معجم قديم لا يتجاوز سبعينيات القرن الماضي على أبعدٍ تقديرٍ. النكوصية هي تشبث هذا اليسار بأيّ غصنٍ يجده كي لا يقع على قفاه، لكننا نقول له: إحذر! فإنكَ واقعٌ على وجهك!

ماذا يقول النكوصيون؟ الاشتراكية تعني غياب السوق فقط، وإحلال الدولة محلّها كالناظم الاقتصادي. هكذا، يدعون إلى دولةٍ حرةٍ تُؤله دور الدولة، أي بورجوازية دولاتية، في دعمٍ مبادئ طوباوية مثل العدالة الاجتماعية، والمساواة، والحرية؛ تقتصر فقط على دعم التأمين الاجتماعي، والصحة، والتعليم، «والحياة الكريمة».

يقولون البرلمان هو الحلّ لكلّ شيءٍ ممكن، ويتخاصمون فيما بينهم: ما إذا يقبلون بالبرلمانات كما هي في تشويهها، أو يسعون نحو مقاطعتها حتى تتطوّر إلى «شكلها الأمثل».

يقولون علينا الدفاع عن البورجوازيات الكولونيالية المهيمنة الصاعدة في العالم (مثل البورجوازية الروسية)، للدفاع عن مبدأٍ تحريفي أعورٍ أعرج: عالم متعدد الأقطاب.

ماذا يقول النكوصيون؟ ليس هناك في بلداننا بورجوازيةٌ، ولا عمالٌ، وحين تسائلهم عن الموجود، يقولون: هاه؟ هاه؟ لا علم لنا بعد.

للنكوصيين استراتيجيةٌ سهلةٌ للغاية: يستعلمون كُلّ مصطلح ثوري يعرفونه فقط حين يتكلّمون عن الذكريات، فقط حين يحللون بلداناً بعيدةً عنهم، فقط حين يتناولون أكثر الأفكار تجريديةً. أما في أوطانهم أنهم بورجوازيون لا أكثر. ليس لهم مذهبٌ نظريٌ حقيقي؛ مذبذبون، ليسوا شمالاً وليسوا شرقاً، أفكارهم عصيدةٌ تجمع بين الإصلاحية، والقومية، وشيءٍ من مصطلحات الماركسية، وشيءٍ من الآيديولوجيا الكولونيالية السلطوية.

سيكون على ذوي العقول الاختيار بين النكوصية، اليسار التقليدي المنهار، وبين التآلفية، أي يسار جديد خلاق. أما الضالون المنتكصون سيقولون:

"ربما غداً، ربما أبداً، لكن من المؤكد ليس اليوم".

التقدمي

التقدمي العدد 178 ـ أغسطس 2022 السنة سبتمبر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

تشريح الانتظار

كولالة نوري

الانتظار
شجرة متسلّقة حول الروح
كلما نمت غطّت مقبض الفؤاد.

***

الندى إنتظار بُخار ليلٍ أُهمل
لكنّه يعيد الرقة لوردةً
على وشك الجفاف.

***

الانتظار هيكلُ مُرّ
من حلم أو وهم
قيلولة في صيف شارع بغدادي
أذرع شرودٍ
وغيبوبةُ منطق.

****

وحدها تحتضن صوتك
وركضك وقلقك
تلك الشوارع الخالية
والسماء الكالحة،
إنه اليوم الخطأ لتنتظري قلبا.

***

في الانتظار نكونُ خارج المواسم
فصلنا الوحيد
الحنين الفائض.

***

الانتظار
عطبٌ في التاريخ
ووقت ينزلق ببساطة
كمنديل في ليلة شتاء باردة.

***

الانتظار نكوصُ ثقيل
من صخب رقصة حُبّ .

***

ذاكرة الانتظار شرسة
قتال محموم بين محطة وأخرى
وقنّاصون لا يميتونك دُفعة واحدة.

***

لا تنتظر
الذين تركوك وحيدًا
أصبحوا خلفك جدارًا بلا باب،
دموعك بحر، إيّاك ان تجفّفها
واجعل المناديل شراعًا.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com